Language Art, 7(3): pp. 7-30, 2022, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2022.13 DOR:
فصلنامه هنر زبان، دوره ۷، شماره ۳، سال ۲۰۲۲، از صفحه ۷ تا ۳۰

الحجاج الساخر في رسالة التربيع والتدوير للجاحظ والرسالة الهزلية لابن زيدون، جدل الإقناع والإمتاع

الدكتور فؤاد فياض شتيات[1]
أستاذ دكتور في قسم اللغة العربية، جامعة الإسراء، عمان، الأردن.

الدكتور فاروق أحمد الهزايمة[2]
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية، جامعة الإسراء، عمان، الأردن.

الدكتور باسل فيصل سعد الزعبي[3]©
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية، جامعة الإسراء، عمان، الأردن.

(Received: 1 May 2022; Accepted: 06 August 2022; Published: 1 September 2022)

ملخص
يتناول البحث الحجاج الساخر في رسالة التربيع والتدوير للجاحظ والرسالة الهزلية لابن زيدون، والعلاقة بين ذلك الحجاج وخطابه السياسي، ويهدف إلى الكشف عن دور السخرية في إقناع المتلقي بما يطرحه الكاتبان انطلاقا من المقام الذي تحكمه المنافسة بين المبدع والشخصية المحورية في الخطابين وعلاقة ذلك بالدور السياسي لجميعهم، ويحلل البحث أدوات السخرية البلاغية التي تغمر النصين وأوعية اللغة التي تتدثر بها. ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي النقدي من خلال قراءة تحليلية نقدية في أسلوب الحجاج الساخر في الرسالتين كأداة في إقناع المتلقي بفكرة الرسالتين في محاولة الانتقاص من الشخصية بأسلوب غير مباشر. ومن النتائج: يشكّل النصان لبنة في أساس الأدب العربي الساخر، الذي تجذّر في السرد العربي القديم عبر جنس الرسالة وأجناس أدبية مختلفة كالمقامة والحكاية والقص الشعبي. وقد تمحورت رسالة التربيع والتدوير حول تربيع شخصية أحمد بن عبد الوهاب الكاتب المغمور وتدويرها، وإبراز القبح الفيزيائي للجسد، والجهل في ثقافة العصر، أما الرسالة الهزلية، فترسّمت خطا الجاحظ في بناء نصها، وشخصيتها كاتب أندلسي معروف، وأداتها السخرية والتهكم من تلك الشخصية وتقبيحه، وسلب صفة الثقافة والعلم عنه، وتصويره بأنّه مدع غير واع بما يحيط به.

الكلمات الأساسية: السخرية، الحجاج، رسائل أدبية، الجاحظ، ابن زيدون.

[1]E-mail: fuad.shtiat@iu.edu.jo
[2]E-mail: Faroq.alhazimah@iu.edu.jo
[3]E-mail: basil.al-zubi@iu.edu.jo © (Corresponding Author)

مقدمة:

يجترح نصا الجاحظ وابن زيدون جسد اللغة ويبنيان لهما مكانة مرموقة في أحشائه، ويتربعان على قمة الرسائل الأدبية الموروثة في مدونة النثر القديم، ومع أنّ كل رسالة منهما لها سياقات خاصة خضعت لها، وخطاب اجتماعي خاص محفز لإنتاجهما غير أن أوجه التشابه بينهما لا يمكن إنكاره، فكلاهما يمتطي السخرية أداة في الحط من شأن الخصم، وإقناع المتلقي بأن ذاك الخصم جدير بالهجاء والهزء والتهكم؛ لامتطائه صهوة جواد ليس له وادعائه فروسية لم يتقنها.

فالجاحظ يكتب رسالته الموسومة بالتربيع والتدوير حول شخصية كاتب مغمور في ديوان الرسائل في العصر العباسي ويجعل شخصية ذلك الكاتب ميدانا لسخريته، ويفعل ابن زيدون الفعل نفسه مع غريمه في حب ولادة بنت المستكفي الوزير الأندلسي ابن عبدوس حين يجعله ميدانا للسخرية في رسالته الهزلية.

ويهدف البحث إلى قراءة السخرية في الرسالتين أداة حجاجية تجنح نحو إقناع المتلقي بأن شخصيتي أحمد بن عبدالوهاب وابن عبدوس جديرتان بالحط من شأنهما؛ لادعائهما مالا يستحقانه وفق رؤية الكاتبين، ومع أن السخرية في الرسالتين درستا غير أن إعادة قراءة السخرية في هذا البحث تنزوي نحو خطاب الحجاج الساخر وانغماسه بالخطاب السياسي.

ويود البحث الإجابة عن السؤالين الآتيين: هل نجح الخطاب الساخر في إقناع المتلقي بأن ما ادعاه كل من الجاحظ وابن زيدون في حق غريميهما حقق بغيته؟ وكيف أثرت السخرية في تشكيل خطاب الرسالتين السياسي؟

ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي النقدي من خلال قراءة تحليلية نقدية في أسلوب الحجاج الساخر في الرسالتين كأداة في إقناع المتلقي بفكرة الرسالتين في محاولة الحط من الشخصية بأسلوب غير مباشر.

ويستفيد البحث من ثلة من الدراسات السابقة، ومنها بحث بعنوان "أسلوب الاستفهام وأثره في الهيكل البنائي والدلالي في رسالة التربيع والتدوير للجاحظ"، لفتحي أبومراد، ٢٠١٨م، وتهدف الدراسة إلى فهم كيفية استخدام الجاحظ لأسلوب الاستفهام في تشكيل الرسالة، واستخدم المنهج الأسلوبي في التحليل، وتوصل الباحث إلى أن أسلوب الاستفهام استخدم في الرسالة لتأدية ثلاث وظائف: بنائية ودلالية وإيقاعية، ووجد أن ثمة علاقة بين المعنى المجازي للاستفهام وطريقة هيكلة الرسالة معماريا، كما أن طريقة تشكيل سلاسل الاستفهام تخضع لمتتاليات بنائية محكمة، وآخر بعنوان "حجاجية تلقي المدح الساخر في رسالة التربيع والتدوير"، سعاد بربح، ٢٠٢٠م، ويناقش البحث مسألة تلقي المدح الساخر وعلاقته ببناء الحجة لدى القارئ، وقيمة ذلك في كشف القيم الأخلاقية في البيئة المجتمعية. وبحث بعنوان" حجاج الصورة الساخرة في الخطاب السياسي" ريم الشريف، ٢٠٢٠م، وتربط الباحثة بين الحجاج والسخرية والسياسة معتمدة على الصورة وتداعياتها، وفاعلية تلك الصورة المبثوثة في تغيير الواقع والاحتجاج عليه، ثم "بلاغة الخطاب النثري عند ابن زيدون، الرسالة الهزلية نموذجا"، أسماء شاوي، ٢٠٢١م ويهدف البحث إلى دراسة أثر الصورة البلاغية في تشكيل نص الرسالة والتأثير في المتلقي، واتبعت الباحثة المنهج التداولي، وتناول أثر الحالة النفسية للكاتب في إبداع النص واتساقه وبلاغة التصوير والإقناع في الرسالة الهزلية، ويتقاطع بحث الشاوي مع البحث الحالي في الإشارة إلى السخرية كإحدى أدوات الإقناع المتعددة في الرسالة.

وجاءت فكرة البحث الموسومة بعنوان "الحجاج الساخر في رسالة التربيع والتدوير للجاحظ والرسالة الهزلية لابن زيدون، جدل الإقناع والإمتاع"، ويقسم البحث في ثلاثة محاور أولهما يمهد للحديث عن السخرية ودورها في تشكيل الخطاب، وثانيهما عن حجاج السخرية في رسالة التربيع والتدوير، والثالث عن حجاج السخرية في الرسالة الهزلية لابن زيدون، ويستخدم تحليل النص أداة لتجلية أدوات السخرية وفض اللثام عن دثارها اللغوي، ودورها في تشكيل خطاب الحجاج.

السخرية والخطاب الأدبي

استخدمت كلمة السخرية في القرآن الكريم ومعاجم اللغة للدلالة على الاستهزاء من الآخر، واستخدمت في الأدب اليوناني[1] لتصف أسلوب كلام إحدى الشخصيات في الملهاة اليونانية القديمة، وعادة ما تتميز تلك الشخصية

[1] eironia

بالخبث والدهاء، ووصفها إدلر بأنها: انفعال مركب فهي "مركبة من غرائز ثلاث: الغضب والانتقام والخضوع، وقال: إن اللعب والمجانة هما عنصران من عناصر السخرية، وهما من الانفعالات التي يصعب تعريفها" (زايد، ٢٠١٤-٢٠١٥) وقد تطور استخدامها في الآداب الأوروبية واستبعدوا منها المفهوم الفلسفي والميتافيزيقي للسخرية وجعلوها أداة أسلوبية تخص الحوار، وعدّها شوقي ضيف أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاج إليه من ذكاء وخفاء ومكر، وهي لذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة الذين يهزؤون بالعقائد والخرافات واستخدمها الساسة للنكاية بخصومهم (زايد، ٢٠١٤-٢٠١٥) وهي كذلك "طريقة فنية أدبية ذكية لبقة في الإبانة عن آراء ومواقف ذات رؤية خاصة، وبصيغة فنية متميزة، وهي أسلوب نقدي هازئ هادف في التعبير عن أفعال معينة كعدم الرضا بتناقضات الحياة، وتصرفات الناس" (ضيف، ٢٠٠٤) وتدرس السخرية" كمحسن بلاغي، وكتقنية كتابية تتوخى تمرير "حقيقتها" وتسويغها في سياق تواصلي يؤطر الكتابة والمكتوب له...الغرض منه تقويم السلوك بطريقة الفكاهة وسرعة البديهة" (عبد النبي، ٢٠٠٠) يرى كيركغارد[1] أن "السخرية محسن أسلوبي يعتبر الكلام بالنسبة له ليس الجوهر بل ضده ونقيضه" (عبد النبي، ٢٠٠٠) والسخرية "انزياح استبدالي وتقوم على التعبير عكس عن ما نعنيه بهدف التهكم وخلق موقف مضحك" (عبد النبي، ٢٠٠٠) اشتغال السخرية على نقض النقيض ليجعل منها قيمة حجاجية... وما هو جوهري في حالة السخرية هو مستوى القيم الحجاجية... وما يحدد السخرية الكلامية ليس هو القلب الدلالي الذي يحصل في الملفوظ... لكن ما يحددها هو القلب الحجاجي" (عبد النبي، ٢٠٠٠).

و"الساخر رسام ماهر يثير إعجابنا بتلك الصور التي يرسمها لمهجويه، صحيح أنه يصور القبح والنقائص، ويصدر عن عاطفتي الغضب والبغض في بعض الأحيان لكننا ينبغي ... أن نلتفت إلى تلك المقدرة الفنية التي استطاع بها الساخر أن يعبر عما في نفسه من مشاعر" والسخرية أداة بلاغية يستخدمها الشعراء والناثرون وقد أشار إليها البلاغيون القدماء كابن المعتز، وابن فارس وقد عقد الأخير بابا لأحد أساليب السخرية والتهكم سماه "باب ما يجري من كلامهم مجرى التهكم والهزء"، ويشير فيه إلى الاستعارة التهكمية أو العكس في الكلام. ويشير ابن رشيق إلى السخرية في باب تجاهل العارف، ويشير ابن أبي الأصبع المصري إلى التهكم الاصطلاحي والهزل الذي يراد به الجد، ويعقد بابا للتهكم، ويتحدث يحيى بن حمزة العلوي عن السخرية والتهكم في أبواب بلاغية متعددة، كالهزل الذي يراد به الجد وتجاهل العارف، وإخراج الكلام عن مقتضى الظاهر، يقول الألوسي في تعريفه للسخرية" إنها التنبيه على العيوب والنقائص بوجه يضحك منه، وإنها تكون بالمحاكاة بالفعل أو القول أو الإشارة أو الإماءة أو على صنعته، أو قبح صورته"

يرى الجاحظ أن أغراض الكتابة "ثلاثة أشياء: تبين حجة طريفة، أو تعرّف حلية لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة، وأنت في ضحك منه إن شئت، وفي لهو إذا مللت الجد" وقوله أيضا "ومتى أريد بالمزح النفع، وبالضحك الشيء الذي له جُعِلَ الضحك صار المزاح جدا والضحك وقارا" (الجاحظ، ٢٠٠٧).

والسخرية أداة من أدوات الهجاء لكنّها تتميز عنه بأنها تحتاج إلى ذكاء وبراعة في التعبير والتخفي وراء اللغة وأساليبها، فإذا كان الهجاء يعبر عن سورة الغضب، ومحاولة النيل من الخصم والانتقام، فإن السخرية هزء مبني على الغموض أو هي أدب الضحك القاتل (فاعور، ١٩٩٣).

والسخرية في المفهوم التداولي "وجه مجازي يتمثل في قول المرء خلاف ما يريد إفهامه للمرسل، ففي السخرية الخفية فعلا لا يتكفل المتكلم بالملفوظ، وفيها يتنافر الكلام المنتظر في نمط مقام محدد" (شارودر، ومنغنو، ٢٠٠٨).

و"تتخذ السخرية طرائق واتجاهات متعددة وكلّها تؤدي غرضا واحدا وهدفا محددا، فقد يكون هدفها الإضحاك والترويح عن النفس المهمومة وقد يكون هدفها إصلاحا، ومن أهم طرائق السخرية: بيان العيوب الاجتماعية والتلفيق أو الادعاء وبيان العيوب الجسدية، ومجابهة الشخص بعكس ما يتوقع" (فرهنكنيا، وبورحمدانيان، ١٩٧٩).

[1] Kierkegaard

والسخرية كذلك"الهزء السار المخفي" (الصلح، ١٩٥٢) و"أصل الأمر في التهكم أن تقول قولا وأنت تريد ضده،... وإن الكلام على خصائص التهكم داخل في البديع" (الصلح، ١٩٥٢) والسخرية[1] حسب تحديد الموسوعة البريطانية نوع من التهكم[2] يعتمد فيه الكاتب طرازا من التعبير لا يقصد فيه مداليل الألفاظ الحرفية تماما، والأصل اليوناني للفظ: أن تقول أقل ما تعني، أو ضده، وقصد التهزئ شرط من شروطه" (الصلح، ١٩٥٢) والسخرية في "ظاهرها وسيلة تعتمد على قلب المعنى بغية الإضحاك لكنّها في بعدها الأعمق تعد إستراتيجية خطابية حجاجية وأسلوبية تتوخى الإضحاك والإقناع معا، بل إنها تشكل أحد أهم أقنعة المحتمل في الخطاب الأدبي" (شاوي، ٢٠٢١).

السخرية أداة حجاجية: يعدّ حجاج الـ سخرية من الحجاج الذي يضفي على النص جمالا أخّاذا، وهو قناع يتقنع فيه منتج الخطاب ليوقع بخصمه، ويؤلب عليه قراءه ومتلقي خطابه، ويستميلهم نحوه محاولا إقناعهم بجدارة طرحه وصحة قوله، وقد استخدم الجاحظ السخرية في رسالة التربيع التدوير بطريقة المفارقة، وترى سامية الدروبي أنّ عبارات الجاحظ التي تصف أحمد بن عبد الوهاب بالعلم وهو يقصد الجهل تتساوق مع مفهوم الحجاج بالسخرية الذي عرفه برندنار حين قال "إنّ ما يجعل جملة ما قابلة للاستعمال المقلوب والساخر في رأيي امتلاكها لقيمة حجاجية بعبارة أخرى لا يمكن قلب معنى (ب) إلا إذا كانت (ب) تعد أولا في زمن محدد من الخطاب حجة ملائمة لنتيجتين متعاقبتين لنقل النتيجة (ن) ونقيضها" (الدروبي، ٢٠٠٩).

وتعد السخرية "وسيلة إقناعية على حد تعبير بيرلمان وتيتكا لأن استخدام السخرية ممكنة في كل الحالات الحجاجية" (الشريف، ٢٠٢٠)، ويؤكد الباحثان أن السخرية تطلع بوظيفة أصلية في الخطاب، هي دورها الحجاجي، إذ يسعى الساخر من خلالها إلى إقناع متلقيه بعكس ما يقول، بقوله عكس ما نريد قوله" (العمري، ٢٠١٣) والسخرية تحمل في بنيتها العميقة الشيء وضده لذا فهي مفارقة لا تعبر بشكل مباشر عن الحجاج لكنها لا تنفك عنه، وهي أداة فاعلة يستخدمها منتج الخطاب لاستمالة المتلقي ليقبل ما يصله من رسائل، ويشوق المتلقي للبحث عن المغزى المضمر لتلك الرسائل.

وتتفادى السخرية" القيود، وتتخطى العقبات، وتفتح في وجهنا أبوابا للبهجة كانت موصدة دوننا، فهي تتيح لنا استغلال ظاهرة مضحكة في خصمنا لا نقوى على كشفها جادين معتمدين لما يعترض سبيلنا من عقبات" (الشريف، ٢٠٢٠) والنكتة أداة من أدوات السخرية تستخدم كالقناع "يخفي الشخص خلفه كل حالات الإحباط، ويعبر عن رغبته في أن يشاركه الآخرون مشاعره هذه، وعن النكتة العدوانية يرى فرويد أنها تسمح بالاستفادة من شيء مثير للسخرية لدى الخصوم، ولأن الواقع يمنع التعبير بشكل صريح عن المشاعر العدوانية، فالنكتة توفر المتعة عن طريق التعبير عن تلك المشاعر، بمقابل تقديم هدية للمستمع تمنحه متعة الضحك أكثر من الإمعان في المشاعر التي كانت في شكلها العدواني المحض قبل النكتة" (العفيف، ٢٠١٦).

الحجاج وخطاب السخرية في رسالة التربيع والتدوير

إنّ من أهم دلالات الحجاج اللغوية الدلالة على الغلبة والظفر، وقد تشي اللغة بذلك ومنها حجه يحجه حجا: غلبه على الحجة (لعرباوي، ٢٠١٧-٢٠١٨)، والهدف في "العملية الحجاجية إشراك المتلقي فيما يعتقده المرسل الذي يهدف إلى التأثير والإقناع والاستمالة عن طريق اللغة أو ما سواها من وسائل التواصل...الأخرى" (لعرباوي، ٢٠١٧-٢٠١٨) و" الحجاج آلية خطابية يسخرها المرسل لتغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه في المقام الأول ثم توجيهه إلى فعل ما في درجة ثانية بتفعيل آليات إقناعية متنوعة، وعن طريق استقصاء تلك الأساليب اللغوية والإقناعية يمكن استنتاج نقاط قوة الخطاب والأسلوب الذي انتهجه المرسل للإقناع" (لعرباوي، ٢٠١٧-٢٠١٨) وتحليل خطاب الحجاج في المقام الأول يركز على دراسة أثر الكلام الإقناعي في مختلف أبعاده أو إعاقة الجمهور المتلقي عن التعاطف مع سلوكات الخصم أو إسكات الخصم وإفحامه. فأين يقف الخطاب الحجاجي الساخر أو التهكمي من هذه الأصناف؟ وهل يهدف إلى الإقناع أم السجال أم وضع الخصم في مأزق أم دحض مزاعمه وكشف ضعف منطقها التداولي؟ (لعرباوي، ٢٠١٧-٢٠١٨) وهل يستخدم الخطاب الساخر أداة تسعى نحو استمالة المتلقي

[1] irony
[2] sarcasm

أو إقناعه؟ وهل يستخدمها المتخاصمون في القطاعات السياسية لطرح وجهة نظرهم وتعرية خصومهم، وإثبات جدارة وجهة نظرهم؟

يصف شوقي ضيف نثر الجاحظ بأنه يقوم على صفتين بلاغيتين : التلوين العقلي، والتلوين الصوتي، ويبدو أنّه يقصد بالتلوين العقلي المكون الحجاجي الذي اعتمد على أساليب الجدل والاستدلال والقياس والنزعة العقلية، أما التلوين الصوتي فيشير إلى الإيقاع أو ما تصفه النظرية الأدبية الحديثة بالشعرية (مشبال، ٢٠١١).

وتستخدم سخرية الجاحظ في رسالة التربيع والتدوير حجاجية المبالغة في المدح مما يصنع تداخلا في الخطاب يفضي إلى مفارقة ضمن سياق نصي عام يرجح نتيجة على أخرى، مع وجود القرائن الدلالية المنسجمة مع مستويات النقد الساخر وهي مستوى الإضحاك، ومستوى النقد الساخر المقترن بالمداعبة، ومستوى اتجاه النقد الساخر نحو الهدف وما يرافقه من تغريدة المنتصر في الخطاب، ويتلقف القارئ كلام الجاحظ ليلحظ أنّه يخرج نحو الحجاج، فهو يتجاوز كل الآراء المختلفة بينه وبين خصمه ويربطها بمواقف ترتبط بالدين والأدب والثقافة، وبذا يخرج خطاب السخرية نحو أقصى درجات الحجاج، وحين يجمع الجاحظ تناقضات غريمه يودّ أن يصنع له صورة ساخرة " فهذا التصوير أصبح حجة الجاحظ في إثبات جهل الرجل وغباوته مستغلا بذلك المفارقة بين ما يزعمه لنفسه من امتلاك لأصناف العلم المختلفة" (أبو مراد، ٢٠١٨).

ويستخدم الجاحظ الحجاج بالصورة الساخرة الهزلية كما يستخدمها كثير من الكتاب لتعرية مظاهر الفساد وهي مظهر من مظاهر المقاومة والتمرد على الظلم (الشريف، ٢٠٢٠) وحجاج السخرية" فن إبداعي امتزج فيه المركب الكلي الممثل في اللغة والفكر والفن والفلسفة، أي مظاهر الثقافة تتجلى فيه" (الشريف، ٢٠٢٠).

أطراف الرسالة ودواعي الكتابة:

تعد رسالة التربيع والتدوير من أوائل الرسائل العربية التي تصور نموذجا إنسانيا، وقد كتبت للسخرية والتهكم، وصورت ذلك النموذج – أحمد بن عبد الوهاب – تصويرا كاريكاتوريا هازلا تناول تلك الشخصية من جميع نواحيها تناولا بارعا وجعله محط سخريته بقلم ماهر قل أن تجده لدى كاتب آخر (السيد عبد الحليم محمد، ١٩٨٨)، وهي من أشهر آثار الجاحظ في الفكاهة والتندر أبان فيها عن تبحره في تراث الشعوب، وما يشيع من الأساطير في معتقداتها، وما يرد من النوادر في كتب الفلسفة والموسيقى والهندسة والطب ومختلف العلوم والفنون. وجعل محور الرسالة التندر والسخرية من معاصره: أحمد بن عبد الوهاب، بأن ألقى عليه مائة مسألة، من طريف المسائل في سائر العلوم. وبما أنّه لن يحسن الإجابة عليها، فإنّ الجاحظ يدله على ما ألفه في كل مسألة منها، طالباً منه مراجعة ذلك في كتبه ورسائله.

أما شخصية أحمد بن عبد الوهاب فغير معروفة في عصر الجاحظ، ولا تخبر عنه الكتب القديمة شيئا، فلم يكن من كبار الأدباء ولا من مشهوري الفكر والسياسة، وهو من كتاب الخليفة الواثق المغمورين (مصطفى، ١٩٨١) ولولا الجاحظ لما عرف أحد عن تلك الشخصية شيئا، وقد وجه الجاحظ سهامه في رسالته نحو هذا الكاتب المغمور، واستخدم جميع معاول السخرية لهدم تلك الشخصية والنيل منها، فما الذي دعاه إلى هذا الفعل؟ يسخر الجاحظ من ذاك الكاتب ويتهكم بالرسالة منه، ويتلاعب بتصويره ويصفه بمختلف النعوت والأشكال، ويحطّم شكله الجسدي وأدواته الثقافية، وللرسالة أسماء توصف بها منها " العرض والطول" و" المفاكهات" (عبد الواحد وآخرون، ٢٠١١).

ويبدو أن سبب كتابة الجاحظ للرسالة هو استعداء صالح بن عبدالملك الزيات للجاحظ ليكتب عن أحمد بن عبد الوهاب لخلاف بين الزيات و أخيه صالح بن عبدالوهاب، وهناك من يرى أن الدافع إلى كتابة الرسالة كان قبليا دينيا، فقد كان أحمد بن عبد الوهاب يمنيا من بجيلة، كما أنه شيعي هشامي (عبد الواحد وآخرون، ٢٠١١) وقد أثارت شخصية أحمد بن عبدالوهاب حنق الجاحظ، وقد كان ميالا إلى كره الكتّاب لما يعتقده من قلة فطنة وسوء أداء وضحالة تفكير فيهم وجهل وحمق (علي، ١٣٧٦هـ)، لقد امتلأ قلب الجاحظ حنقا على الكتاب لأسباب عديدة ذكرها في غير موضع من رسائله، قال "خلق حلوة، وشمائل معشوقة... فإن ألفيت عليهم الإخلاص وجدتهم كالزبد يذهب جفاء، وكتبته يعرفها الهيف من الرياح، ولا يستندون من العلم إلى وثيقة، ولا يدينون بحقيقة"

(السيد عبد الحليم محمد، ١٩٨٨)، ويبدو أنه انتقم في شخصه من طائفة الكتاب، والسخرية طبع في الجاحظ وأسلوب كتابة وحياة، فمارس هذا الطبع في النيل من كاتب أزعجه.

وقد زار ابن عبد الوهاب الجاحظ في واحد من الأيام الثلاثة التي قضاها في ديوان الكتابة، فربما تاه بنفسه على الجاحظ واغتر بمنصبه عليه، فانتقم منه شر انتقام، لذلك يقول" فلما طال اصطبارنا حتى بلغ المجهود منا، عدنا نعتاد مذهبه، وتأليف سبيله، رأيت أن أكشف قناعه وأبدي صفحته، للحاضر والبادي، وسكان كل ثغر وكل مصر، بأن أسأله عن مائة مسألة أهزأ فيها، وأعرف الناس مقدار جهله، وليسأله عنها كل من كان في مكة، ليكفوا عنا من رغبة، وليردوه بذلك إلى من هو أولى به" (السيد عبد الحليم محمد، ١٩٨٨).

بدأ الجاحظ رسالة التربيع والتدوير برسم صورة هزلية ضاحكة لجسم أحمد بن عبد الوهاب وحطم شكله وشوه جسده ونحت له صورة ذهنية غاية في القبح حين قال" كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ويدّعي أنه مفرط الطول. وكان مربعا وتحسبه لسعة جفرته واستفاضة خاصرته مدورا. وكان جعد الأطراف قصير الأصابع، وهو في ذلك يدعي السباطة والرشاقة، وأنه عتيق الوجه أخمص البطن معتدل القامة تام العظم. وكان طويل الظهر قصير عظم الفخذ، وهو مع قصر عظم ساقه يدّعي أنه طويل الباد رفيع العماد عادي القامة عظيم الهامة، قد أعطي البسطة في الجسم والسعة في العلم. وكان كبير السن متقادم الميلاد، وهو يدعي أنه معتدل الشباب حديث الميلاد" (الجاحظ، ١٩٥٥).

واستخدم الجاحظ تشويه فيزياء الجسد وكيمياء العقل ليسقط الخصم ويعمل على تعريته والكشف عن خفاياه وتجلياته لدى المتلقي، ذلك أن السخرية تهاجم وتعتدي وتفضح وترمي هدفا (سعاد، ٢٠٢٠) إن عناية الجاحظ بتفاصيل جسد أحمد بن عبد الوهاب وطريقة تشكيل تلك التفاصيل تشير إلى طبيعة نثره الذي يقوم على " التشخيص والعناية بالتفاصيل الدقيقة والمفارقة في رسم التناقض في الشخصيات ومصائرها ورغباتها المعلنة والمكبوتة، وهو من جهة أخرى سرد يهيمن عليه الخطاب والحديث، بل الحدث والفعل، إن السرد عند الجاحظ جواب عن سؤال أو استجابة لأمر" (مشبال، ٢٠١١) ويستخدم الجاحظ وصف بعض الشخصيات أو المناظر أو الأشياء أو الحالات النفسية كما هي في الواقع أو كما يراها الكاتب في حالتي الجد والهزل، غير أنه في رسالة التربيع والتدوير يجنح نحو التصوير الهزلي.

وتحمل مجموعة من صوره الخاصة بشخصية أحمد بن عبد الوهاب إشارات علمية وتاريخية وفلسفية وكلامية وتشير إلى دقة الملاحظة، ونفاذ البصيرة وعمق التجربة، وسعة المعرفة، فالجاحظ مصور اجتماعي بارع (مشبال، ٢٠١١)، يشكل شخصيته من زوايا اجتماعية يقتنص فيها ثقافة المجتمع وتناقضاته، وهو في ذلك يود إحياء موصوفه وإبقاء صورته حية في ذهن المتلقي ومادة مستمرة للسخرية.

تطل السخرية والهزء الخفي في فضاء الرسالة كلها بدءا من عتبة العنوان "التدوير والتربيع"، إذ يوحي بأنه بحث فكري أو فلسفي لكن قراءة مقاطع من الرسالة يستجر القارئ على الضحك حين يعرف أن التربيع والتدوير خصيصة لشخص معين مربع مدور. ويتحدث الكاتب عن مناقب التدوير ومحامد التربيع، و يحاول "بكثير من الخبث أمرا لو سميناه لقلنا إنه محاسن القبح، وهو في سبيل غايته هذه يستعين بالمنطق والعلم والفكر جميعا حتى يكاد يوهم قارئه بأنّ أحمد هذا الذي يسخر منه، هو قضية نظرية أكثر منه إنسانا ذا نفس وروح، وإنه مشكلة منطقية جديرة بأن تبحث على مستوى المجردات" (الصلح، ١٩٥٢).

ويسعى الجاحظ إلى تصوير (الصلح، ١٩٥٢) أحمد بن عبد الوهاب عبر رسالته تصويرا دقيقا يرسم المعاني الهجائية بصورة مستفيضة باستخدام مواد أدبية مستقاة من أشكال تعبيرية متعددة، فهو يحشد مجموعة أشكال التعبير ليشكل صورة المهجو ويصوغها في فقرة واحدة بحيث يجعلها " نسيجا متداخلا من أشكال وأنواع خطابية متعددة مثل : الحديث النبوي ، والقول المأثور، والدعاء، والوصية، والحكمة، والمثل" (مشبال، ٢٠١١) ويستفيد الجاحظ في كتابته من ثلاثة عناصر: إزجاء الخبر ، ثم إنكاره أو نقضه، ثم الاستفهام والاستخبار عنه.

ويستخدم الجاحظ في تصويره شخصيته خصمه مجموعة من المعاني الهجائية، وقد تقاطعت نصوصه المستعارة من أشكال خطابية متعددة، فحول النص المستعار لقلب الغرض الخاص بذلك النص مستخدما إستراتيجية المحاكاة الساخرة التي عمرت فنه النثري، وبرزت بشكل كبير في رسالته موضوع البحث، ويبدو أن حشد

النصوص من أجناس مختلفة يشير إلى أنّ مفهوم النوع عند الجاحظ يخضع لمفهوم الأدب الموسوعي أو الأدب القائم على "مفهوم النص الجامع، والنص الجامع مدخلا لقراءة بلاغة الرسالة الأدبية عند الجاحظ وتجنيسها" (مشبال، ٢٠١١).

وقد صبّ الجاحظ جام قلمه على تكوين ابن عبد الوهاب الجسدي، فأعمل فيه تشويها وعبثا، وغير فيزياء جسمه وهندسته فأعاد تشكيله، وجعله كرة تتدحرج، ومربعا مدورا، قصير عظم الفخذ طويل عظم الظهر(قزما)، وجعله رحى طحان، وجمع في معماره الجسدي المتناقضات. ولم يكتف بتشويه فيزياء جسده بل أعمل قلمه في تشويه كيمياء عقله ومسلكه، فوصفه بصفات أراد نقيضها، وجعله مسخرة للجمهور الذي يتلقى رسالته.والرسالة تقوم على السخرية من الكاتب" الذي ينسب إلى نفسه شكلا فيسيولوجيا لا ينطبق عليه، وهي بذلك اتخذت من جسد هذا الرجل موضوعها الفكاهي، إذ عمدت إلى صياغته في لغة تسللت إليها مفهومات ودلالات وألفاظ تنتمي في أصلها إلى نصوص ثقافية متنوعة، ليتحول الجسد الموصوف إلى حدث هزلي يتوخى منه الجاحظ إثارة الضحك" (مشبال، ١٩٩٤).

وقد استند في مهاجمة خصمه إلى مجموعة من أدوات السخرية كالسخرية بالصورة، والسخرية بأدوات اللغة كالاستفهام والنداء، والسخرية بالأدوات البلاغية المتعددة كالمدح بما يشبه الذم، والسخرية باستنطاق الموروث الكائن في الطاقة الدلالية والرمزية لبعض الأعلام الذين تكرسوا في الذاكرة الشعبية رموزا للشجاعة أو الكرم أو العلم أو الحكمة أو الجمال، والسخرية بزج الأخبار الموحية والأشعار والأمثال الدّالة والاستشهاد بالآيات الكريمة والأقوال المأثورة. وقد استعمل كل هذه الأدوات لينتقم من خصمه بدافع مهني يرتبط بالأطر السياسية التي كانت تحكم العصر العباسي.

وقد كانت السخرية طريقة من طرق التعبير في العصر العباسي مارسها العديد من الكتاب والشعراء (سرحان، ١٩٧٤) لكن الجاحظ " فاق معاصريه في السخرية على كثرة عددهم وتعدد اتجاهاتهم فاقهم... بطول النفس وحلاوة المذاق، وتقليب الصورة، والعبث بها من كل جوانبها، حتى يأتي على ما فيها، فمكانته منهم في المنزلة العليا والسنام الأسنى... لم يوجد على امتداد السنين... من جاء بمثل البخلاء أو بصنو رسالته التربيع والتدوير" (سرحان، ١٩٧٤).

يطرح الجاحظ على مهجوّه متهكما ساخرا مئة مسألة تناولت معظم المعضلات التي شغلت مجتمع عصره. و" السخرية تعمل بذكاء لتحويل الشيء أو المنظر الذي ترصده إلى صورة دميمة لتسقطه في النهاية من عالم المثل ومن حسابات الجمال الذي قد يكون في كثير من الأحيان واقعا تحت وهم الاتصاف بها، فيبدو مثيرا للضحك أو يمكن أن نعتبر ذلك في الواقع أسلوبا مجديا من أساليب السخرية أو فنا من فنونها ذات القدرة العجيبة" (الهوال، ١٩٨٢).

يمتح الجاحظ"صيغ تشكيله لرسالته من وعيه بأساليب تشكل جنس الترسل ، فهو أحد أقطاب الكتابة النثرية الذين يدركون أسرار الصنعة، وهو بقدر ما يذعن لمكونات هذا الجنس بقدر ما يذعن لرؤيته الخاصة وأسلوبه الفريد، ليتولّد النص من هذا التفاعل بين المبدع والجنس الأدبي الذي يفترض أنه يكتب في إطاره" (مشبال، ٢٠١١).

ومن الميزات الخاصة بأسلوب الجاحظ في بناء رسالة التربيع والتدوير التضمين التهكمي ومن ذلك قول الجاحظ" وقلت لولا فضيلة العرض على الطول لما وصف الله تعالى وعز الجنة بالعرض دون الطول حين يقول: "وجنة عرضها كعرض السماء والأرض" فتضمين الآية الكريمة في سياق هزلي هو ضرب من التهكم (مشبال، ٢٠١١).

وقد استخدم الجاحظ جميع أدوات السخرية والتهكم التي يمتلكها لإلحاق أشد الأذى بشخصية خصمه، ورسالة التربيع والتدوير صورة واضحة لأدب الجاحظ وعلمه وعقليته وفلسفته وبراعة منطقه، واتجاهه للحياة، وبراعة قلمه لخلجات فكره (السيد عبد الحليم محمد، ١٩٨٨).

ويسخر الجاحظ من هيئة خصمه ويتابع توليد صور مشوهة للكاتب تقلب حقيقة الصورة وتغير ألوانها وخطوطها، مستخدما في ذلك أسلوبه الجدلي " الذي يبتعد فيه عن الواقع إلى السفسطة والارتكاز على المغالطات، والاعتماد على فكرة الأوساط، فإذا زاد الجسم طولا أو نقص قصرا أصابته مساوئ الإفراط والتفريط" (عبد الواحد وآخرون، ٢٠١١). لقد استغلت الرسالة طاقات اللغة والصورة الحسية في السخرية والتهكم والتلاعب بموازين

الحسن والقبح ، فأخرج القبيح بصورة الحسن ، وأخرج الحسن بصورة القبيح ، واستعان بأدوات الجدل والحوار في عرض الصورة والصورة المضادة لها مصوبا سهامه نحو غريمه، ومن ذلك " ولم أزل أراك تفضّل العرض على الطول وتزعم أن الأرض لم توصف بالعرض دون الطول إلا لفضيلة الطول على العرض... " (الجاحظ، ۲۰۰۷).

ويجري الجاحظ حوارا يوهم القارئ بأنه يحاجج الرجل محاجة منطقية يود فيها إنصافه، والحقيقة أنه يصوب إليه سهام السخرية من كل حدب وصوب، ليجعله متمتعا بالصفة المثالية للطول وسعة الخاصرة والاستدارة، والجمع بين المتناقضات.

ويسأل الجاحظ غريمه متهكما عن مسائل حدثت في التاريخ بعد أن يوطئ لذلك بالحديث عن تناهي غريمه في القدم، فيجعله أقدم من إبليس في الوجود " ولست جعلت فداك كإبليس وقد تقدم الخبر في بقائه إلى انقضاء أمر العالم وفنائه، ولولا الخبر لما قدمته عليك ولا ساويته بك، وأنت أحق منه بعذر، وأولى منه بستر" (الجاحظ، ۲۰۰۷) ويتلاعب بخصمه ويقدم له نموذجا ضاربا في القدم، ويبيح الجاحظ لنفسه أن يجعل غريمه" يجالس أفلاطون وأرسطو ويناظرهما ويصاحب نوحا في سفينته، ويعرف الإنس منذ خلقوا، ويشاهد الجن قبل أن يحجبوا وكأنّه ليس إنسانا ولا جنا، يقول " ولم أزعم أنك رجل يمان لولادة لك في قحطان، كيف وأنت أقدم من قحطان ومعد بن عدنان ومن القرون التي خبر الله عن كثرتها وعن آبائها وأجدادها، ولكنك بالهوى والنصرة، ولأنهم كانوا لك أحشاما وصنيعة" (الجاحظ، ۲۰۰۷).

ولأنّ غريم الجاحظ قديم قدم التاريخ يطرح عليه جملة من الأسئلة والألغاز ملتمسا لها إجابة "حدثني كيف رأيت الطوفان، ومتى كان سيل العرم؟ ومذ كم مات عوج؟... أين عاد وثمود؟ وأين طسم وجديس؟ وأين أميم ووبار؟ وأين جرهم وجاسم ؟ أين كانت الحجارة رطبة... ومذ كم ظهرت الجبال، ونضب الماء عن النجف؟ وأي هذه الأودية أقدم أنهر بلخ أم النيل أم الفرات أم دجلة أم جيحان أم سيحان أم مهران؟". (الجاحظ، ۲۰۰۷)

ويتحقق في الرسالة أسلوب السخرية ومقصد الاستهزاء " عن طريق ذكر الضد، ثم يرجع به إلى حقيقته ويضعه في مكانه، فيحطه من شاهق، ويهوي به من حالق، فتحقق السخرية غايتها، وتصل في الإيجاع إلى قمتها، في أسلوب جزل وعبارة رصينة، حوت المعارف، وامتلأت باللطائف، تارة يميل بها إلى السجع غير المتكلف، وطورا يسير بها إلى الترسل، تارة يرسلها عنيفة هادرة، وأحيانا يقودها سهلة هادئة، مرة يحدث فيها ازدواجا أو مقابلة، ومرات يترك ذلك وهو في كل أحواله المصور البارع، والرسام الماهر يتخذ الأصباغ والألوان مادة لصوره، والتشكيل والنحت دليلا على استهزائه" (السيد عبد الحليم محمد، ۱۹۸۸).

وبصورة عامة فقد تميزت رسالة الجاحظ بمجموعة من الميزات منها:

- أنّ الجاحظ جعل فنّ الرسالة الأدبية معرضا لأنواع عديدة تحمل أفكاره وملاحظاته، فلم يترك موضوعا إلا وكتب به رسالة ونسج حوله مجموعة من الأقوال والحكايات والنوادر، فكان لطريقة كتابته للرسالة الأدبية أثر في الفنون العربية اللاحقة كالقصة ، والحكاية، والمقامة، وفن الطرائف.
- من الخصائص الشكلية لرسالة التربيع والتدوير " تقطيع الجمل إلى فقرات كثيرة مقفاة متسلسلة وزيادة البيان وضوحا، وكثرة الاستطراد ومزج الهزل بالجد، وتحليل المعنى واستقصائه، وتحكيم العقل والمنطق والاعتراض بالجمل الدعائية" (عبد الواحد وآخرون، ۲۰۱۱).
- قدم لرسالته بملخص ذكر فيه موضوعه وغرضه من الكتابة.
- أكثر من استخدام الجمل المعترضة الدعائية كمثل "أبقاك الله، وعافانا الله بك، وأطال الله بقاءك، وجعلت فداك، وأعزك الله وغيرها كثير " وتباينت أهدافه من استخدام هذه الجمل الدعائية فبعضها جاء للسخرية أو المدح أو الهجاء والتهكم، وكانت خاتمة رسائله دعائية أيضا، ومنها قوله" وهب الله لنا ولك الإنصاف، وأعادنا وإياك من الظلم، والحمد لله لما هو أهله، وهو حسبنا ونعم المعين" (الجاحظ، ۲۰۰۷).

– الاستطراد بالخروج عن موضوع الفكرة إلى أفكار عديدة غيرها، ثم الرجوع لمتابعة نقاشها، فقد قامت فكرة رسالته على أن الكاتب قد تمادى في ادعائه الرقة والحشمة وسباطة الجسد وامتلاك العلم، وهو بذلك يمثل شخصية الكاتب الساذج في دواوين الحكم العباسي وفق رؤية الجاحظ، فأراد أن يثبت أنه قبيح جاهل، فراح يقلّب الأفكار ويولّد المعاني ويناقش الأحداث، ويستشهد بالأخبار، ويسرد مجموعة من الجمل المتتابعة التي يسخر بها من زعم ابن عبدالوهاب الجمال، ثم شكّله على مجموعة من الهيئات والصور المنفرة، وطرح عليه مجموعة من المسائل التي تثبت جهله فأطال، ويبدو أنّ الإطالة آتية من تطور العقل العربي ا لذي انتهج الجدل والكلام واستخدام المنطق الذي سوّق له المعتزلة في الحياة العقلية العباسية.

– التناص فقد حوت رسالته جيشا من النصوص التي استخدمها أحيانا أدلة وشواهد ، ومن هذه النصوص آي القرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة والتابعين، والأمثال والحكم ومقولات السابقين والمعاصرين ، وبعض الأشعار والأخبار، " وقد رأى الباقلاني في حشده لنصوص الآخرين في رسائله عيبا، فقال" ومنهاجه معيب ونطاق قوله ضيق حتى يستعين بكلام غيره، ويفزع إلى ما يوشح به كلامه من بيت سائر ومثل نادر وحكمة ممهدة منقولة، وقصص عجيبة مأثورة، وأما كلامه في أثناء ذلك فسطوره قليلة وألفاظه يسيرة" (الباقلاني، ١٩٩٧) والجاحظ متميز في طريقة تعالقه مع النصوص فهو يوظفها بشكل دقيق لتخدم فكرته وتؤيد وجهة نظره ، وتبدو جزءا لا يتجزأ من نصه، فقد كان " يقتبس النص ويتصرف به في أثناء رسالته بحسب ما يقتضيه الحال والغرض الذي ينزع إليه أو الموضوع الذي يعالجه" (عبد الواحد وآخرون، ٢٠١١) ويتكئ على هذه النصوص في إقناع المتلقي بأنّه من يمتلك ناصية الثقافة العصرية أمام خصمه الذي لا يتقن منها إلا ادعاءه بإتقانها مستندا إلى وظيفته في الديوان الرسمي.

– العناية بالتوقيع الموسيقي إذ يغلب على أسلوب الجاحظ الازدواج والتوازن في بناء جمله وفقرات رسائله، كما أنها كانت موشّحة ببعض أنماط البديع كالجناس والسجع والطباق غير المتكلف، وقد اهتم في رسالته بالتوازن الموسيقي، وإيقاع ذلك التوازن أبعد عن الرسالة الإملال، وجعل من نثره منافسا لشعر عصره في القدرة على التعبير عن الهجاء والتهكم والسخرية، وبذا يفتح الطريق أمام الكتاب لوضع النثر مواجهة للشعر ومهد لإنتاج المقامات وغيرها، لذا قال طه حسين" حدثوني أين الشاعر العربي الذي يستطيع أن يبلغ في الهجاء ما بلغه الجاحظ؟ وأين القيادة التي تبلغ من الطول والتفنن ما بلغه الجاحظ" (حسين، ١٩٦٩).

– الحجاج العقلي والمنطقي فقد تميزت رسالته باستخدام الحجاج المنطقي المتكئ على الجدل العقلي، فوظّف الجدل في السخرية والتهكم، كما استخدم أدوات اللغة المختلفة من أجل إقناع المتلقي بحجية أدلته، مع تنوع في طريقة سوق الحجج والوصول إلى النتائج فتارة يعتمد على المقدمة والنتيجة ، وتارة يستخدم أسلوب المغالطة الحجاجية (عبد الواحد وآخرون، ٢٠١١). وقدم للحديث عن ادعاء خصمه للرشاقة والجمال والعلم، ثم بين أنه ميالا للمراء واللجاجة والاعتراض، ثم أثبت عدم علمه بطرح مجموعة من المسائل أتثبتت عجزه وقلة علمه. و يستخدم أحيانا حجاج المغالطة حين يصف ابن عبد الوهاب بالعظمة ويتبع ذلك بالهزء والسخرية، ثم يتحدث عن مخارق الكذابين، وينقلب نحو تمجيد العقل والفكر، متلاعبا بخصمه رافعا خافضا مادحا ذاما إمعانا منه في التهكم والسخرية.

– الميل نحو السرد والقصصية فقد قدم شخصيته مراوحا بين الوصف والجدل وبذل الحكاية والخبر، وكانت الحكاية في النص لمحة دالة أحيانا تأتي في إطار التهكم كقوله : " ويا نسر لقمان كيف ظهرت، ويا أقدم من دوس، ويا أسن من لبد، ويا صفي المشقر" (الجاحظ، ١٩٥٥) وهذه الجمل تكتنز في

داخلها حكاية تامة لكنه يكتفي بالإيماءة إليها، وأحيانا يفصل كقوله "وقد كان زياد، مع كلوحه وقطوبه يمازح أهله في الخلاء..." (الجاحظ، ١٩٥٥).

– استخدم أنماطا متعددة من السخرية والتهكم في بناء نصه الحجاجي كالـهجاء في معرض المدح، والمدح في معرض الهجاء، وهما لونان من ألوان السخرية اللاذع والتهكم المرير يقول الحاجري "وهذا بعينه هو ما يمكن أن توصف به بعض أساليب الجاحظ الساخرة كالذي نراه في رسالة التربيع والتدوير" (الجاحظ، ١٩٥٥). وقد اعتمد في سخريته على إبراز الصورة كما يراها الرائي وكما يرسمها المصور الماهر، فكان يخرجها لوحات فنية بارعة، لا يغادر من مقوماتها شيئا في دقة ملاحظة وخصوبة خيال، لا تكلف فيها ولا تصنع ولا مبالغة، مستشفا الحركات الشعورية، متغلغلا في الخفايا النفسية، مستبطنا للإحساسات الخفية، ملاحظا الصلة بينها وبين الحركات الظاهرية" (السيد عبد الحليم محمد، ١٩٨٨) وخلق من السخرية فنا مستوي القامة، وطيد الأركان ساحق البنيان، جسمه في رسالته (السيد عبد الحليم محمد، ١٩٨٨).

– استخدام أسلوب الاستفهام الساخر فهو"يستفهم ليقرر حقائق أو معارف هو يدركها، أو لينكر على غريمه أمورا يجهلها، قاصدا من ذلك كله الخلوص بنتيجة مؤداها : السخرية والاستهزاء من غريمه والغض من علمه وتسفيه عقله، وبالمقابل إبراز علومه (الجاحظ) الموسوعية وطاقاته العقلية الجدلية الحجاجية الكبيرة وفي ذلك سخرية إضافية بغريمه" (أبو مراد، ٢٠١٨) فقد اختار إستراتيجية السخرية و" عبر عنها باصطناع متواليات من سلاسل الأسئلة المطروحة على غريمه بشكل حجاجي لا يخلو من حس هزلي فكاهي مر" (أبو مراد، ٢٠١٨) ولعل " رغبة الجاحظ في ابتكار الأسئلة الحجاجية وخلقها فجّرت لديه كما كبيرا من المعارف التي حولت الرسالة إلى فضاء معرفي وموسوعة تختزل ذاكرة الجاحظ الغنية حتى يظن القارئ أحيانا كأن الجاحظ يناقش مسألة علمية دقيقة" (أبو مراد، ٢٠١٨) وفي استخدامه لأسلوب الاستفهام يجمع الجاحظ بين خاصيتي الإمتاع والإقناع معا.

٢- شرح الرسالة الهزلية لابن زيدون السخرية والفضاء السياسي(/www.wdl.org/ar/item/4095/view/1/4/ مخطوط، ورقة ٥، ٦)

وابن زيدون "هو الوزير أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، الأندلسي الكاتب الشاعر المشهور، ولد بقرطبة سنة أربع وتسعين وثلاثمئة ومن أبناء الفقهاء المتعينين، واشتغل بالأدب،... وبلغ من صناعتي النظم والنثر المبلغ الطائل، وانقطع إلى أبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف المتغلبين على الأندلس" (ابن نباتة، د.ت.)، لكنّه لم يلبث أن نقم عليه وسجنه، فاستعطفه ابن زيدون برسائل متميزة، وقصائد جميلة، فلم ينجح فهرب من محبسه ولجأ إلى إشبيلية و" أعمل لنفسه في الخلاص من سجنه حيلا، واتخذ الليل للهرب جملا، فقطع في ليلة واحدة ما بين قرطبة وإشبيلية". (ابن دحية، ١٩٥٤) واتصل بعباد بن محمد المعتضد، فاتخذه وزيرا، وظل عند عباد، وعند ابنه المعتمد على الله إلى أن توفي بأشبيلية سنة ٣٦٤هـ (الصفدي، ١٩٦٩).

ورسالته الموسومة بالرسالة الهزلية " كتبها على لسان ولادة بنت المستكفي إلى الوزير أبي عامر بن عبدوس، يتهكم به فيها، فوجد فيها مكان القول ذا سعة، وتلعّب فيها بأطراف الكلام، وأجاد فيها ما شاء" (الصفدي، ١٩٦٩) وقد جلبت عليه سخريته من ابن عبدوس الويلات، واتهمه ابن عبدوس بالتآمر مع الأمويين وزج به في السجن، وقد استخدم ابن زيدون كل أنواع السخرية للنيل من خصمه كالسخرية التهكمية، وهي سخرية تحتاج إلى قدح زناد العقل والمكر والبراعة في استخدام الخيال والحيل اللفظية؛ لجعل الخصم أضحوكة من خلال رصد المثالب وإطفاء المحاسن والإقذاع في الهجاء، ومزج ذلك بالتهكم والاستهزاء، وهذا ما فعله ابن زيدون حين توارى خلف ولادة، وجعلها قناعا يتقنع به في هجائه لخصمه، والنمط الثاني هي السخرية التي تستند إلى التصوير الكاريكاتوري التي تقوم على الغلو في إبراز العيوب والمغالاة في تسليط الضوء على السمات الشاذة في الصورة المشكلة بغية الإضحاك والسخرية ؛لتجسد الصورة المشكلة مشهدا كاملا للخصم يبعث على الضحك والشفقة.

ويستعين الكاتب في تشكيلة الكاريكاتوري على " معارف عصره، وبجميع عناصر الفكاهة والهزل الشائعة بين الناس"، (فاطمة عطية، ٢٠٠٣) ويستغل ذلك في رسم صورة مضخمة تبعد التناسب بالشكل عن المهجو ويقبحه ويشوه شكله، ثم يرسم صورة تتكئ على المفارقة لخصمه حين يشير إلى أن حسنه فاق حسن النبي يوسف، وهو بذلك يتلاعب به ويراقصه بالكلمات؛ ليجعل المتلقي يضحك ملء شدقيه، ويقنع المتلقي بقدرته على تسخير الوصف في الحطّ من شأن خصمه وتسفيهه.

والنمط الثالث من السخرية هو قرن صورة الخصم بصور قبحية أحيانا، وبصور جميلة أحيانا أخرى، إذ يصفه بالساقط سقوط الذباب على الشراب، كما يصفه بالفراش المتساقط على الشهاب، والصورتان متناقضتان في الدلالة على القذارة والجمال وإن تضمنت الصورة الجميلة دلالة الحمق والغباء. ومن ذلك ربط الخصم بصورة المثال المطلق للصفات القبحية كمقارنته بهبنقة في الحمق، وبباقل في بلاهته وعجزه، ومقارنته برمز الشؤم طويس، لكنه في المقابل يربط بينه وبين شخصيات تمثل مثالا في الصفات الجميلة. ويستخدم في ذلك أسلوب المدح المتقنع بالسخرية، وهو أسلوب تهكمي أو هو المدح المقلوب أو القدح عن طريق المدح، ومن ذلك قول ابن زيدون " وإن قارون أصاب بعض ما كنزت...".

ويستخدم السخرية القائمة على التهويل فيبالغ في تصوير معرفة الخصم بالعلوم والمعارف، حين يصف ابن عبدوس بأنّه"وضع القوانين وعرف الماهية وبين الكيفية والكمّية..." كما استخدم خطاب السخرية المنسوب إلى ألسنة النساء (فاطمة عطية، ٢٠٠٣).

"لا شك أنّ السخرية مظهر من مظاهر النقد التي يسلك بها طرقا خفية ومضمرة ليضمّن بها آراءه وموقفه في كثير من المسائل" (فاطمة عطية، ٢٠٠٣) ويدرك المطلع على رسالة الهزلية لجوء ابن زيدون إلى تقنية السخرية بصفتها أداة مساعدة، أو استخدام موضوعات جادة في قالب ساخر، أو المبالغة أو التهويل أو قلب الحقائق على سبيل التندر، وهذه الموضوعات ساعدت ابن زيدون على اتخاذه السخرية سلاحا يتحدى به خصمه ويحط من شأنه، "فالسخرية من أساليب المقاومة التي يعبر بها الساخر عن تحديه خصمه وتعاليه عليه" (فاطمة عطية، ٢٠٠٣).

ورسالة ابن زيدون تجري على نسق رسالة التربيع والتدوير للجاحظ (ابن زيدون، ١٩٥٧)، تقلده في هزله وفي أسلوبه، وقد كتبها على لسان ولادة بنت المستكفي (ابن خاقان، ١٩٨٩) إلى ابن عبد القدوس، تود دفعه عن التطلع طمعا إلى حبها، وتخبره ببغضها له، وقد دفع ابن زيدون إلى كتابة هذه الرسالة غيرته من أن ينافسه ابن عبدوس في حبه لولادة.والرسالة تنسجم مع الجو الثقافي العام الذي ساد العصر الأندلسي ومنه ازدهار الهجاء واتساع مجالاته، وتعدد اتجاهاته، فقد ازدهر الهجاء السياسي، والهجاء الاجتماعي، وهجاء أصحاب الوظائف الرسمية، وهجاء العلماء، وهجاء المدن، وهجاء السخرية والتندر (فوزي عيسى، ٢٠٠٧).

وانتشر هجاء السخرية والتندر في أوساط الشعراء والكتاب، ولم يكن الهجاء الذي يمارسه هؤلاء يصدر عن إحن أو سخط، وإنما هو لون من العبث بأحد الأشخاص وإظهاره في صورة هزلية على سبيل التندر والدعابة والظرف، وكلون من ألوان التسلية، وقضاء الفراغ، وإثبات القدرة على التصوير والإضحاك (غومس، ١٩٥٢).

وتعدّ رسالة ابن زيدون نمطا من أنماط الرسائل المعبرة عن الهجاء الساخر لشخصية رسمية تتقاطع معه في البيئة الفضاء السياسي الأندلسي ويتنافسان على الصعيد الشخصي والمهني. قلّد فيها طريقة الجاحظ في رسالة التربيع والتدوير وخاصة في مجال التهويل والاتجاه نحو التضمين واستعراض المعارف المتعددة المكتنزة لدى الكاتب (الفحام، ١٩٩٨). وتعد الرسالتان من النماذج المتميزة في الاتكاء على السخرية أداة حجاجية تنقد الواقع وتعري الخصم، وتسعى إلى إقناع المتلقي بأنّ الخصم مدع غير جدير بالاحترام، وتجعله يلتذّ بجمال الطرح.

سخرية ابن زيدون خطابا حجاجيا.

شكّل ابن زيدون خطاب رسالته من خلال متوالية من النصوص التي تحيل على مأثورات وأمثال وأشعار وآيات وأقوال، وتظافرت جميعها لوصول خطابه إلى بغيته المنشودة، وتبدأ الرسالة باستخدام تركيب أما بعد (www.wdl.org/ar/item/4095/view/1/4/، ورقة٧)، على عادة من سبق، ثم تستخدم أسلوب النداء محقرة ابن عبدوس متهمة إياه بأنّه مصاب بعقله، متورط في جهله، واضح الهفوة، قبيح الفعل فيما أحدث من إرساله رسولا

إلى ولادة يطلب وصلها. وهو ساقط مغرور لا يعرف قدر نفسه، أفلا يرى الحقيقة ساطعة سطوع الشمس؟ كيف يتجرأ على أن يطلب من ولادة ما لا يستحيل أن يصل إليه؟ لقد ترامى في خفة وحمق، وبلغ مبلغ الذباب المتساقط على ما حلا من الشراب، وزاد حمقه فانحدر إلى حمق الفراش الذي يحترق فوق جذوة لهب النار المستعرة، لقد سولت له نفسه ذلك الفعل لركوبها مركب العجب، وعدم وضعها في منزلتها الحقيقية، فانزلقت به في سلم الحماقات.

بدت مقدمة الخطاب أدبية بامتياز تتذرع بالسخرية والتهكم والهجاء أسلوبا فنيا وتعتمد على رسم مجموعة من المشاهد الفنية الصورية التي تشبه مخربشات الكاريكاتير وهذا يذكر بفعل الجاحظ مع صاحبه، انظر إليه يرسم صورة للمخاطب وقد تاه بذيله كالطاووس فيتعثر بريشه ويسقط، وانظر إليه يسقط في القذر والنار كالذباب الباحث عن الحلوى أنى كان شكلها.

ويبدو الخطاب مشحونا بثلّة من الانفعالات النفسية تتمترس وراءها مجموعة من الإحن والكراهية للمخاطب، ولعل بعض المفردات المستخدمة تؤكد ذلك الانفعال حين يسم خليلة غريمه بـ "قوادة".

ويميل إلى استخدام ضمير الغائب في مطلع خطابه حين يقول " أيّها المصاب بعقله، المورط بجهله، البين سقطه، الفاحش غلطه، العاثر في ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره" إمعانا منه في تحقير المخاطب المعني بالرسالة، ثم يتبعه باستخدام ضمير المتكلم ذاما ابن عبدوس فيقول" وإنّك راسلتني مستهديا من صلتي ما صفرت منه أيدي أمثالك، متصدّيا من خلّتي ما قُرعت دونه أنوف أشكالك ، مرسلا خليلتك مرتادة، مستعملا عشيقتك قوّادة، كاذبا نفسك أنّك ستنزل عنها إليّ" ولسان حاله يقول، فيا عجبا، كيف تراسلني وتطلب مودتي ووصلي وأنت تعرف أنك ستعود صفر اليدين ، وتعرف أنّي أقابل مودة من هم على شاكلتك بالصد. فلم أرسلت صاحبتك إلي تخطب ودي لك ؟ ألا تتمالكها الغيرة عليك مني؟ وكيف طاوعتك نفسك أن تترك مودة تلك المرأة وتنقلب عنها بالحصول علي؟ إن ما فعلته يستدعي ذمك، فأنت كاذب إن ظفرت بي تركتها، وهي إلى ذلك ساعية وإلى الخلاص منك راغبة.

ولقد جاوز ابن زيدون حدود اللياقة مع ولادة وأساء إليها " حين زعم أن ابن عبدوس استعمل عشيقته قوادة، وهو أمر ينزل ولادة منزلة من حضيض المهانة، ولم يقف الأمر عند ذلك بل جعله ينزل عن هذه العشيقة إلى ولادة ويخلفها عليها... لقد خانت ابن زيدون لباقته وتخلت عنه حصافته" (الشكعة، ۱۹۸۷).

ويتمثل الكاتب ببيت المتنبي ليؤكد المعنى الذي تقدم، فأنت يا ابن عبدوس تطلب ما يستحيل وقوعه، أما خليلتك المبغضة لك، فقد بذلت كل جهد مستطاع من أجل البعد عنك، فحاولت توثيق الصلة بيني وبينك، فقد أثنت عليك بصفات ليست فيك، فزعمت أنّ كمال المروءة تتجسد في شخصك كتجسد المعنى في اللفظ، وأنّ تمام صفات الإنسانية كائنة فيك، فهي اسم أنت جسده ومادته الأولى، وقد قطعت في قولها بأنّك متفرد في الجمال، مستأثر في صفات الكمال، مستعليا على أقرانك في مراتب الجاه والسلطان، متشربا مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات.

لقد بالغت في مدحك حتى جعلتك أجمل من النبي يوسف عليه السلام ، وأن امرأة العزيز لم تعد تنتبه إلى جمال يوسف بعد أن رأتك، وقد جعلتك مثالا في كل الصفات المدحية تغلبت على رمز الغنى الكائنة في قارون والنطف[۱]، وعلى رمز القوة والمنعة الكائنة في كسرى والإسكندر وأردشير...ثم يتابع إحصاء مجموعة من الرموز الذين بلغوا المثال في ميادينهم ويجعل ابن عبدوس يتفوق عليهم وفق زعم خليلته، إمعانا في السخرية منه والتندر بفعله.

والخطاب إذ يستدعي مجموعة من الشخصيات التراثية ويحاول دمجها في البنية الدلالية للغاية من الرسالة يجعل تلك الشخصيات كودات مشفرة تعلي من شأنها في التراث، وتجعلها رموزا في حقولها الدلالية، لكنها تحمل رسالة ساخرة هازئة للشخصية المعاصرة التي توضع في موازاة تلك الرموز، وتنزع عنها كل إيجابية محتملة، فابن

[۱] والنطف رجل من عرب الجاهلية من بني تميم اسمه النطف بن خبيري قيل إنه اشترك في الإغارة على قافلة لكسرى كانت تحمل بضاعة وأحمالا فيها ذهب ومجوهرات وحلي فغنمها مع مجموعة من رفاقه فأصبح يضرب به المثل في كثرة ما حصل عليه من المال ، وقيل إنه وجد خبيئة وهو يعمل سقاء فأصبح غنيا بفعل ذلك ، ينظر المخطوطة ورقة ۲۵ .

عبدوس تناقض ملامحه الحقيقية كل ما تحمله تلك الشخصيات في إيحاءاتها المضمرة وهو في نصه الطويل الذي يحصي فيه مجموعة من الرموز التراثية ويضعها صورة موازية لشخصية ابن عبدوس يريد أن ينفي عنه "كل إيجابيات الطرف التراثي، ومن خلال هذا التفاعل العميق بين هذه الملامح الحقيقية والمضمرة، والملامح المعاصرة تبدو المفارقة قاسية وأليمة" (الياسين، والخلفات، ٢٠١٣).

إنّ خطاب ابن زيدون السابق والمحمّل بقائمة طويلة من الشخصيات المستدعاة من التراث يحمل في داخله مجموعة من الرسائل المشفرة منها: السخرية من ثقافة المخاطب (ابن عبدوس)، ومنها استعراض ابن زيدون لمخزونه الثقافي، وجدارته بأن يكون هو المعشوق الذي يستأثر بقلب كاتبة الخطاب المفترضة "ولادة".

ويبلغ الخطاب الغاية في السخرية حين يقرن بين ابن عبدوس وما حدث عبر التاريخ من أحداث مشهورة ومن مبتكرات معروفة، وأنها إنما وقعت إكراما لشخصه الكريم، ثم يمعن في السخرية منه، فيقول "إنّك لو شئت خرقت العادات، وخالفت المعهودات، فأحلت البحار عذبة، وأعدت السلام رطبة ونقلت غدا فصارت أمسا" وهذا النص بما يحويه من تصوير مميز "يصدم الوعي لاحتوائه من اللامعقول ما يكفي لتأمله في الخيال فقط، ولاستحالة تحققه في الواقع؛ إذ لا يمكن لإنسان مهما أوتي من القوة أن يقوم بتلك الأعمال الخارقة كتحويل البحار المالحة عذبة، وجعل الحجارة رطبة، وقلب الأيام بالتقديم والتأخير، وتغيير الطبيعة بزيادة عناصرها، وهذا يرفع من مستوى السخرية اللاذعة في النص، ويبرز عنصر المفارقة فيه بشكل واضح" (الياسين، والخلفات، ٢٠١٣).

يبرز الخطاب التناقض الصارخ بين ابن عبدوس وتلك الشخصيات التراثية المذكورة ، ويستخدم أسلوب المفارقة التي تقوم على افتراض التوافق الملغى بين الطرفين، أو الربط بين المستحيلات، فابن عبدوس يتفوق على النبي يوسف في الجمال مما يجعل امرأة العزيز تغادر النبي يوسف إليه، ويدفع ملكة سبأ بلقيس للغيرة من الزباء عليه، وهذا ما لم يقع ويحمل دلالة عميقة تنفي ما تعبر عنه اللغة ظاهريا، وتخرج ما يخبو في داخلها من قدح وازدراء وسخرية بابن عبدوس، وذلك ما سمته أساليب البلاغة القديمة بالمدح بما يشبه الذم، وما يسمى أيضا بالسخرية أو المفارقة. ولقد جاوزت عدد الشخصيات التراثية التي استدعاها ابن زيدون في باب السخرية من غريمه ابن عبدوس السبعين اسما، وهي تؤشر إلى سعة اطلاع منشئ الخطاب وإلى قدرته على توظيف تلك الرموز التراثية بشكل منسجم متلاحم مع أبنية النص وأنساقه.

يستخدم ابن زيدون جيشا من النصوص في تشكيل رسالته ساخرا مزدريا ومن تلك قوله "كل الصيد في جوف الفراء" وهو إذ يستخدم هذا المثل يغمز من قناة ابن عبدوس ويعده عديم الأهمية" مفضلا أن يعبر عن ذلك المعنى بأثر مزدوج الأول استبدال الخطاب المباشر، بما هو غير مباشر وذي أثر تاريخي وثقافي له تأثيره في المتلقي، والآخر السخرية الناتجة عن اكتشاف أن استعمال المثل كان للدلالة العكسية التي يحملها، من دون أن يسعى الكاتب إلى تغيير سياقه النصي ولكن التفاعل حصل في قلب دلالته من استعظام ما يدل عليه تصغير أثره واحتقاره، فالتفاعل في مغزى النص لا في ألفاظه وتركيبه" (هداب، ٢٠٠٩).

وأما أبيات كل من أبي نواس وأبي تمام والمتنبي، فقد تمثل بها الكاتب إمعانا في السخرية، وجعل المقصود فيها ابن عبدوس تبكيتا له، وهو مدح قصده الذم.

يوظف المؤلف مجموعة من المتضادات في تشكيل بعض فقر رسالته معتمدا الطباق أداة لبناء المفارقة بين ما هو ظاهر في الخطاب وما هو مستور، أو بين حقيقة ابن عبدوس وما يدعيه، فيجعل الطباق يتجاوز كونه محسنا بديعا ليصبح أداة تعبيرية تسهم في إغناء النص وتطوير بنيته بما يخدم بغية الرسالة وهدفها العام، ومنها قوله وإنك من " ناظر في الجوهر والعرض، وميز الصحة من المرض، وفك المعمى، وفصل بين الاسم والمسمى، وصرف وقسّم، وعدّل وقوم، وصنّف الأسماء والأفعال... وبنى وأعرب، ونفى وتعجب، ووصل وقطع، وثنى وجمع، وأظهر وأضمر، واستفهم وأخبر... " (ابن نباتة، د.ت).

إن تضخيم صورة ابن عبدوس وجعله يتجاوز الحقيقة، هو مدح يقصد منه الذم، ويبرز مدى السخرية والاستهزاء الذي ينبئ به الخطاب، ويحمل رسالتين مشفرتين أهمهما ما يوجه لـ "ولادة"، مفادها إن ابن عبدوس لا يتسم بأي صفة مما تقدم، وتتمثل فيه الصفات المضادة للعلماء والفلاسفة والعقلاء فكيف تقبلي الحديث إليه

حين يكون ابن زيدون الطرف الآخر في الموازنة؟ فالكاتب " يوظف الطباق توظيفا دقيقا، لتحقيق الغاية التي يريدها في هذه الرسالة، وهي أن لا مجال للمقارنة بينه وبين خصمه ابن عبدوس " (الياسين والخلفات، ۲۰۱۳).

ولا يكتفي ابن زيدون فيما قدمه من مفارقة ساخرة فيتحول في الخطاب إلى الذم المباشر حين يقول "فكدمت في غير مكدم، واستسمنت ذا ورم، ونفخت في غير ضرم، ولم تجد لرمح مهزّاً، ولا لشفرة محزّاً، بل رضيت من الغنيمة بالإياب، وتمنّت الرجوع بخفي حنين، لأنّي قلت: لقد هان من بالت عليه الثّعالب وأنشدت:

على أنّها الأيام قد صرن كلها عجائبَ، حتى ليس فيها عجائبَ (ابن نباتة، د.ت).

ويوظف ابن زيدون ثلّة من الأمثال والأقوال المأثورة ليشير إلى أن المرأة المرسلة استخدمت كل الحيل، ولم تتم على شيء من حيلها (ابن نباتة، د.ت). فقد حاولت الوعظ فلم تتمكن منه، كما ظنت المريض بالورم سمينا، فهي كمن نفخ في رماد، فلم تجد لكلامها نتيجة ولا لسكينها ما يُقْطَع. لذلك رضيت من الغنيمة بسلامة العودة، وعادت من سفارتها بالفشل. فقد هانت بعد ادعاء العزة، ولا ضير فعملها يدخل في باب العجائب التي ملأت الدنيا وجعلت العجيب حدثا عاديا.

وقد كانت إجابتي أنني غضبت مما فعلت، وأصابني ضيق الصدر وأعلنت التبرؤ منك، وكررت تهديدي، وهممت بقتل تلك المرأة لكنني أحجمت، ولولا أن تلك المرأة اكتسبت حرمة بدخول المنزل وتناول الطعام، لفعلت بها ما فعل سيف الدولة بالدمستق، وأداة العقوبة حاضرة، وإن عادت لذلك عوقبت.

ومنشئ الخطاب حين يبرز غضب ولادة إنما يعبّر عما يعمر نفسه من توتر وصراع وقلق نفسي وغيرة، ويعبّر عن ذلك باستخدام أدوات لغوية تجمع بين التجربة الواقعية والمجاز الآتي من المفارقة والانزياح اللغوي.

ولقد كانت تلك المرأة مخدوعة بك، أو أنّها محبة لك لا ترى عيوبك، وقد قيل في المثل: حسن في كلّ عين من تود، وما وصفتك فيه يشبه حال من صدق في بيع ناقته، ومن وضع القطران على موضع الجرب من دابته، ثم يختم كلامه بمثل يلخص الحكاية ويفضح بواطن الكلام" فالمعيدي تسمع به خير من أن تراه".

ويكشف خطاب الرسالة عن "فهم ولادة وتسامحها لما يمكن أن تضفيه امرأة عاشقة من صفات غير حقيقية على محبوبها كما نفهم من هذا السياق الكاشف عن النص الغائب بين المرأتين، أو رغبة السفيرة الكامنة في الانتقام من عشيقها بعد فتور المشاعر بينهما، فقبلت القيام بهذا الدور لا حبا له بل تشفيا به من خلال توقعها رد فعل ولادة العنيف الساخر الرافض، فتنتقم منه بيد ولادة لا بيدها " (العلي، ۲۰۱۵).

"هجين القذال، أرعن السبال، طويل العنق والعلاوة، مُفرط الحمق والغباوة، جافي الطبع، سيّئ الإجابة والسّمع، بغيض الهيئة ، سخيف الذهاب والجيئة، ظاهر الوسواس، منتن الأنفاس، كثير المعايب، مشهور المثالب، كلامكَ تمتمة، وحديثُك غمغمة، وبيانك فهفهة، وضحكك قهقهة، ومشيكَ هرولة، وغناك مسألة، ودينُك زندقة، وعلمُك مخرقة" إن المتواليات اللفظية والموجات المتلاحقة من الشتائم، والمعزوفة الهجائية التي اعتنت في رسم تفاصيل قبيحة لشخصية ابن عبدوس تنبئ عن غيرة عارمة ملأت نفس المؤلف كما كشفت عن "ولع أنثوي في تعقب أدق تفاصيل الرجل الجسدية والنفسية حتى إنها لم تترك مثلبة شاردة أو واردة إلا ألصقتها به وهي بذلك تعزز صورة المرأة المتحررة الخبيرة بالرجال لكثرة اختلاطها بهم" (العلي، ۲۰۱۵).

ولعل السباب المتلاحق والقبح الذي ملأ المتواليات اللفظية يعكس المرارة والجفوة التي يعانيها منشئ الخطاب الذي ابتعد عن الديار، وتشي بحشرجة نفس الذي خسر كثيرا من ذاته، وأضحى عاجزا عن الفعل الحقيقي، فتذرع بالكلمات المعبرة عن فوقية المتكلم في تعامله مع المخاطب الذي يتجذر في الواقع السياسي، فيما المتكلم يعيش الهشاشة والنفي، تلك الجمل تعبر عما في نفسه من حسرة وألم مخبوء.

أما الصفات القبحية التي تحاول نزع مكونات الجمال الممكنة في شخصية ابن عبدوس فتستند إلى قيم الهجاء العربي في سلب المهجو كل الصفات المدحية الخلقية والجسدية، فمن الناحية الخلقيه جعله وضيع النسب، ناقص الرجولة، متصف بالغباء والحمق، متناقض في قوله، عيي في خطابه، بعيد عن وقار الرجال، وماله آت عن طريق الكدية، ومقدوح في دينه، متحايل في ثقافته، وأما من الناحية الجسدية فإنه بغيض في هيئته، سخيف في مشيته، متهالك الجسد، نتن في نفسه.

جاءت الجمل المتوالية متسلسلة دون استخدام أدوات الربط بينها لكنها بدت متماسكة، وقد لجأ المؤلف "إلى توظيف الفصل عمدا ليجعل نصه أكثر انسجاما وأكثر تبليغا، دون تعقيد، كما أنها جمل واصفة لهيئة المتحدث عنه، فهي توضح حالته، وهذا اتحاد تام في الجمل" (مخلوف، ٢٠٠٨-٢٠٠٩) يمثل كمال الاتصال.

وحين عبرت ولادة عن مطمحها في رجل يتحلى بصفات معينة قالت: "ما كنت لأتخطى المسك إلى الرماد، ولا امتطي الثور بعد الجواد، فإنّما يتيمم من لم يجد ماء، ويرعى الهشيمَ، من عدمَ الجميم، ويركب الصعب من لا ذلول له. ولعلك إنّما غرّك من علمت صبوتي إليه، وشَهِدت مساعفتي له، من أقمار العصر، وريحان المصر، الذين همُ الكواكب عُلُوّ همم، والرياضُ طيب شيم".

يختبئ ابن زيدون بين هذه الجمل ويتمترس داخل تلك الصفات الذكورية، وحين يتابع الخطاب تشكّله على لسان ولادة في سياق الموازنة بين الرجل المزدرى والرجل المتقبّل، ينزاح الخطاب نحو الهجاء الساخر المعلن" ما أنت وهم ؟ وأين تقع منهم ؟ وهل أنت إلا واو عمرو فيهم؟ وكالوشيظة في العظم بينهم...".

"وأين من انفرد به ممن لا أغلب إلا على الأقل الأخس منه ! وكم بين من يعتمدني بالقوة الظّاهرة، والشهوة الوافرة، والنفس المصروفة إليّ، واللذة الموقوفة عليّ، وبين آخر قد نضب غديرهُ، ونزحت بيرهُ، وذهب نشاطه، ولم يبق إلا ضراطه! ... وهل يجتمع لي فيك إلا الحشف وسوء الكيلة، ويقترن عليّ بك إلا الغدّة والموت في بيت سلولية!"

ويتصاعد الخطاب الساخر على لسان ولادة حين تقول له لو أن عمرو بن هند منحه برديه، وحلته مارية زوجة أحد ملوك الغساسنة بالقرطين، وقلّده فارس العرب عمرو بن معد يكرب سيفه الصمصامة، وحمله ابن عباد سيد وائل في الجاهلية على فرسه النعامة، لما ترددت في الحكم على سوء منبته، فقد اجتمعت فيه خصلتان رداءة التمر وفساد كيله، ثم تصور عاقبة قربها منها كعاقبة عامر بن الطفيل الذي دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فاقترنت غدة في رقبته فمات ميتة ذليلة في بيت سلولية.

وفي نهاية الرسالة يتصل الخطاب بخطاب ساخر مشحون بالتهديد، فيقول على لسان ولادة "وإن بادرت بالنّدامة، ورجعت على نفسك بالملامة، كنت قد اشتريت العافية لك بالعافية منك، وإن قلتَ: "جعجعة بلا طحن"، و "رُبّ صَلَفٍ تحت الرّاعدة"، وأنشدتَ:

لا يؤيِسَنّك من مخدّرة قولٌ تغلّظه وإن جرحا

فعدت لما نُهيتَ عنه، وراجعت ما استعفيت منه، بعث من يزعجك إلى الخضراء دفعاً، ويستحثك نحوها وكزا وصفعا، فإذا صرت إليها عبث أكّاروها بك، وتسلط نواطيرها عليك، فمن قرعة معوجة تقوم في قفاك، ومن فجلة منتنة يرمى بها تحت خُصاكَ" (ابن نباتة، د.ت)

يَصل خطاب الرسالة أحيانا حد سلاطة اللسان فتبتعد عما تقتضيه السخرية والتهكم من حذق ومهارة ودقة في التورية، وتجنح نحو الانفعال الصريح الذي يخرج مخبوء السخط والألم الذي يشعر به منتج الخطاب نحو المخاطب بدافع الغيرة المدثر بالتنافس السياسي على الأغلب. وقد وصلت رسالة ابن زيدون " الذروة بالسخرية من ابن عبدوس، وقد أصبح في يده كلعبة تارة يعلو فيرفعه إلى السموات العليا في القوة والسلطان والعلوم والفلسفة والبيان واللغة وتارة يسقط به فيهوي من حالق إلى الحضيض والدرك الأسفل" (ضيف، ١٩٨٩).

ويرى الشكعة إن الرسالة الهزلية كانت " منفردة بنمطها الأسلوبي المتميز من خلال ظاهرة النثر الفني، ذلك أن ابن زيدون شاعر حتى وهو يكتب، ومنه هنا كانت ألفاظه مختارة، وكلماته ذات إيقاع وعبارات ذات إشراق، وفقراته تقتنص المعاني اقتناصا، وتلفها لفا، وتصل المرمى في إنسانية بارعة ورشاقة محببة" (الشكعة، ١٩٨٧).

ومع أن " الغيرة لعبت دورا صاخبا في مبنى الرسالة ومحورها، لقد كانت الدافع الجارف وراء الهجاء الموجع، ثم السخرية القاتلة، مع ما صاحب ذلك من تحقير لشأن ابن عبدوس، ثم تجهيل له، وتحليل لصفاته وهيبته، وحركاته وسكناته، وحديه وكلامه، وبيانه وضحكه، وعبوسه وغنائه، وعلمه ودينه" (الشكعة، ١٩٨٧) "فقد كان ابن زيدون في رسالته مؤلفا نموذجيا لا مؤلفا تجريبيا" (العلي، ٢٠١٥) كما "عمد ابن زيدون في رسالته إلى طريقة المقابلات وأسلوب المفارقات فعرضه خير عرض وصوره أبدع تصوير، فقد رسم ابن عبدوس قزما ضئيلا تافها ثم خلع عليه حللا فضفاضة من حلل الجمال والروعة والبهاء، فتعثر في ثيابه، ثم خلعها عنه بغتة وأظهر عوراته

ومعايبه مجسمة، وبالغ فيها مبالغة ساخرة" (ابن زيدون، ١٩٥٧) "ولقد استطاع الكاتب على الرغم من كثرة اقتباسه وتضمينه أن يوائم بين العبارات المستجلبة مواءمة جعلها تبدو نسيجا واحدا متلائم الألوان متلاحم في نسق منضود" (ابن زيدون، ١٩٥٧) وتعدّ الكتابة الساخرة من فنون الكتابة الراقية التي تتطلب ثقافة واسعة ومعرفة كبيرة بالمجتمع وأحوال الناس.

وتتميز رسالة ابن زيدون الهزلية بمجموعة من الخصائص الفنية، منها:

كثرة الصور البيانية، والميل نحو استخدام السجع في تشكيل رسالته ومن ذلك قوله: هجين العذال أرعن السبال.وكثرة التناص مع الموروث الديني وربط ذلك بشخصية ابن عبدوس للسخرية من، ه ومن ذلك مقارنة جماله. بجمال النبي يوسف "عليه السلام" وغناه بقارون وعظمته بالإسكندر المكدوني، وتوظيف بعض الألفاظ الأجنبية في تشكيل الرسالة ، ومنها: بلينوس وأرستقراط وغيرها.و تكراره لبعض المعاني وقلبها بصور لفظية متعددة، وتوظيفة لجملة من الأشعار والأمثال في بناء نصه الشعري، كما اتسمت رسالته بطابع التهكم والسخرية والازدراء في رسم شخصية ابن عبدوس، واستخدامه لبعض الألفاظ السوقية من أجل بناء النص الساخر وتشكيله.

وقد سيطرت على رسالته عاطفة الكره لابن عبدوس لأنّه منافسه في حب ولّادة وفي الفضاء السياسي؛ لذا استغل جميع طاقات اللغة الممكنة من أجل رسم صورة هزلية مضحكة لخصمه تقنع المتلقي بأن خصمه مدع وغير جدير بالتقدير.ويبدو أنه أراد أن تكون ولّادة القارئ الأول لرسالته فتزداد نفورا من منافسه.

وتميزت لغة الرسالة وإيقاعها في انتقاء الألفاظ بعناية شديدة تبرز عمله ومعرفته ومهارته، وتخدم هدفه وتطيح بخصمه، فشكّل نصّه اللغوي والأدبي بطريقة متصلة متنامية بدأت وانتهت من مقدمتها إلى نهايتها ساخرة هازلة، واستغل أدوات البديع من سجع وجناس وطباق ومتقابلات لفظية ومتوازيات موسيقية في تشكيل نصّ ساخر جميل. وغدت رسالته "مشحونة بفنون الأدب ولمع التواريخ، والأمثال الغريبة، نثرا ونظما، وأنت سوف ترى نثره كيف يهز عطفك، ويسحرك ويخدعك، وليس فيها سجع تروجه القوافي للنفوس، ولكن هذا من القدرة على البلاغة" (الصفدي، ١٩٦٩).

وقد اعتمدت الرسالة الهزلية السرد أداة فنية فوقعت في مرحلة وسطى بين الشعر والنثر، وقد قيل نثر ابن زيدون بالمنظوم أشبه منه بالمنثور.**وبصورة عامة فقد** مال ابن زيدون إلى الفكاهة والسخرية متأثرا بعصره.فكانت السخرية سمة ذلك العصر، وتشكّل نصّه متأثرا بالجاحظ وبالسياقات الاجتماعية والثقافية والسياسية الأندلسية السائدة، وتشكّلت رسالته وفق خطاب السخرية الممزوج بفضاء تلك الحياة، محتجا بها على منافسه ابن عبدوس مستميلا ولادة وفق ثنائية الإقناع والإمتاع.

الخاتمة

عمرت السخرية نصي الجاحظ وابن زيدون، وتنامت في أنسجة الرسالتين، ووجهتهما نحو مبتغى الكاتبين، ومع أنّ الموازنة بين النصين تنبئ عن تشابه في العلاقات البنائية، وتماثل في الهدف والدافع، غير أنهما يختلفان في المقام المنتج، ويتماهى المنتج الثقافي بينهما وطبيعة العصر وما أنتجته من ثقافة المترسلين في الاتكاء على بلاغة السخرية واستخداماتها الحجاجية، واستفادت من طاقات اللغة الإبداعية واستدعت الموروث، وتأثرت بأجواء التنافس المهني وتمحوراته السياسية بين الكاتبين وخصميهما.

وقد تمحورت رسالة التربيع والتدوير حول تربيع شخصية أحمد بن عبد الوهاب الكاتب المغمور وتدويرها، وإبراز القبح الفيزيائي للجسد، والجهل في ثقافة العصر. أما دافعه إلى الكتابة فعدم الرضا عن مسيرة كتاب الدواوين في العصر العباسي وإبراز ضحالة ثقافتهم، والرسالة تبرز أسلوب الجاحظ المطبوع على الفكاهة والسخرية، فهو القادر على سبر أغوار شخصية رسالته وتعريتها عابثا ملتذا بما يفعل مقدما نصا متماسكا مقنعا، وليقنع المتلقي بإحاطته بثقافة العصر استخدم سلاسل النصوص الموروثة مسندة إلى قائليها.كما استخدم السخرية أداة حجاج تدفع المتلقي نحو الاقتناع بوجهة نظر الكاتب والحكم له ملتذا ضاحكا، والنص يؤكد أنّ الجاحظ مبدع مبتكر رائد في صناعته.

أما الرسالة الهزلية فترسّمت خطا الجاحظ في بناء نصه، وشخصيته كاتب أندلسي معروف، وأداتها السخرية والتهكم من تلك الشخصية وتقبيحه، وسلب صفة الثقافة والعلم عنه، وتصويره بأنّه مدع غير واع بما يحيط به.

وأبرز ابن زيدون تفوقه على خصمه عن طريق تشرب الموروث، والمراوحة بين الخبر والإنشاء في تهكّمه من غريمه، وارتدائه قناع معشوقته ولادة إمعانا في تحقيره والحطّ من شأنه، فكتب الرسالة على لسان ولادة، واستخدم الأدوات البلاغية من صور ومحسنات بديعية موزّعا ازدراءه لابن عبدوس بين ولادة والأدوات اللغوية التي استخدمها لتشكيل خطابه الساخر؛ ليقنع ولادة أنّ خصمه غير جدير بها.

واستخدم ابن زيدون السخرية أداة حجاجية تحطّ من شأن خصمه، وتستميل القارئ نحو تبني وجهة نظره ملتذّا بالقراءة ضاحكا من خصمه، وبدا ابن زيدون مبدعا في تشكيل نصّه متشربا للموروث، مترسما نهج الجاحظ.

ويشكّل النصان لبنة في أساس الأدب العربي الساخر، الذي تجذّر في السرد العربي القديم عبر جنس الرسالة وأجناس أدبية مختلفة كالمقامة والحكاية والقص الشعبي.

جدول يوضح أوجه التلاقي والاختلاف بين رسالة التربيع والتدوير والرسالة الهزلية

رسالة التربيع والتدوير	الرسالة الهزلية
-مؤلفها الجاحظ.	-مؤلفها ابن زيدون
- شخصيتها (كاتب) أو وزير عباسي أسمه أحمد بن عبدالوهاب.	- شخصيتها وزير أندلسي اسمه ابن عبدوس
أسلوبها مبني على التهكم والسخرية.	أسلوبها مبني على التهكم والسخرية.
سلب من شخصيتها صفة الثقافة والعلم.	سلب من شخصيتها صفة الثقافة والعلم.
صور أحمد بن عبدالوهاب بصورة جسدية ساخرة ومضحكة	صور جسد ابن عبدوس صورة على سبيل التهكم.
حاول تشويه جسد شخصيته حين جعله مربعاً مدوراً وتدخل في إبراز فبح الجسد.	صور ابن زيدون خصمه بأنه مدّع ولا يعرف شيئاً ولم يتدخل بتشويه جسده بل ركز على الجانب المعنوي والثقافي له.
طرح الجاحظ مجموعة من المسائل الثقافية الشخصية متحدياً ادعاءه للعلم	اتهم ابن عبدوس بضعف التميز الثقافي
- الداعي إلى كتابة الرسالة إرضاء ذوق أحد أصحابه بدافع سياسي.	الداعي إلى كتابة هذا النص الأدبي تحقير لابن عبدوس لمنافسته في حب ولّادة وكلاهما يرتبطان في حقل سياسي متقارب.
استخدم في تشكيل نصه الأدبي موروثا واسعا من الشعر والأمثال والمأثورات وبعض الحكايات.	استخدم ابن زيدون في تشكيل نصه مجموعة من النصوص لأدبية العربية من شعر وأمثال وحوادث، وأحال على بعض شخصيات غير عربية.
اتسم أسلوب الجاحظ بالاستطراد وفصاحة التعبير وجماله.	اتسم أسلوب ابن زيدون بأنه إخباري يعتمد على التهكم وبعض المحسنات البديعية كالسجع والمقابلة والترادف اللفظي، على لسان ولادة معشوقته ومعشوقة خصمه.
يميل الجاحظ إلى الترسل غير المقيد	يلتزم ابن زيدون بالسجع التزاما كبيرا
تعكس الرسالة الحياة العباسية في بغداد	تعكس الرسالة ثقافة الأندلس وتغرق فيها
تظهر رسالة التربيع والتدوير أسلوب رجل مطبوع على الفكاهة والسخرية متمرس فيها قادرا على سبر أغوار نفس شخصيتها، ووصفه لشخصيته يدفعه العبث واللذة والتماثل في المهنة، لذلك بدا هادئا متزنا.	استند ابن زيدون إلى السخرية اللاذعة والرغبة في الانتقام والازدراء من غريمه، وهما يتشاطران التنافس في جانب العشق والسياسة ؛ لذلك وزّع ازدراءه لابن عبدوس بين معشوقته وأدواته اللغوية مستخدما المفارقة أداة لتشكيل رسالته وما تطويه اللغة في دواخلها من سخرية، وأبرز خطابه الساخر جانبا من حنقه تجاه خصمه.
مال الجاحظ إلى نسبة النصوص المستعادة من أمثال وأشعار وأقوال إلى أصحابها	مهر ابن زيدون في استخدام الأمثال والشواهد الشعرية، فقد تمثل النصوص المستعادة بشكل يجعلها جزءا أصيلا في نصه.
استخدم الجاحظ السخرية أداة حجاجية تعري خصمه وتدفع المتلقي للاقتناع بوجهة نظره والحكم لصالحه ملتذا ضاحكا.	استخدم ابن زيدون السخرية أداة حجاجية تحط من شأن غريمه، وجعل الخطاب الساخر المقترن بالهجاء أحيانا أداة حجاجية أخرى تستميل القارئ نحو تبني وجهة نظر الكاتب ملتذا بقراءة النص ضاحكا من خصمه.
مبدع مبتكر رائد في صناعة نصه	مبدع متشرب للنّص الموروث عند الجاحظ وفن المقامة

المصادر و المراجع:

ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، ت٥٢٩هـ (١٩٨٩). قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ج١-٢ ، تحقيق: حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار،الزرقاء، الأردن.

ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن (١٩٥٤). المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق : إبراهيم الأبياري، وحامد عبد المجيد، وأحمد بدوي،المطبعة الأميرية ، القاهرة.

ابن زيدون (١٩٥٧). ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق: علي عبدالعظيم، نهضة مصر، القاهرة.

ابن نباتة، جمال الدين (د.ت.). سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الفكر.

أبو مراد، فتحي مدشر رفيق (٢٠١٨). أسلوب الاستفهام وأثره في الهيكل البنائي والدلالي في رسالة التربيع والتدوير للجاحظ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي، الحولية ٣٩، الرسالة٥٠٥.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الخطيب (١٩٩٧). إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، ط٥.

بربح، سعاد (٢٠٢٠). حجاجية تلقي المدح الساخر في رسالة التربيع والتدوير، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، عدد ٦، مجلد٤، المركز الديموقراطي، برلين، ألمانيا.

الجاحظ، عمرو بن بحر (١٩٥٥). كتاب التربيع والتدوير، تحقيق: شارل بلات، دمشق.

الجاحظ، عمرو بن بحر (٢٠٠٧). البخلاء تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف،ط٥.

حسين، طه (١٩٦٩). من حديث الشعر والنثر، القاهرة، دار المعارف، ط١٠.

الدروبي، سامية (٢٠٠٩). الحجاج الجميل في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد، دراسات أندلسية، تونس، العدد ٤٢.

زايد، ليلى (٢٠١٤-٢٠١٥). السخرية في فن السيرة الشعبية، نماذج مختارة، الجزائر ،جامعة الشهيد لخضر- الوادي، قسم اللغة والأدب العربي، رسالة ماجستير.

سرحان، محمد (١٩٧٤). فن السخرية في أدب الجاحظ، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية.

السيد عبد الحليم محمد، حسين (١٩٩٨). السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر، طرابلس، ليبيا.

شارودر، باتريك، ومنغنو، دومينيك (٢٠٠٨). معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبدالقادر المهيري، وحمادي صمود، دار سيناترا، تونس.

شاوي، أسماء (٢٠٢١). بلاغة الخطاب النثري عند ابن زيدون، الرسالة الهزلية أنموذجا، مجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، مجلد ٣٥، عدد ٢.

شرح رسالة الوزير أبي الوليد بن زيدون، مخطوط، ورقة ٦، ٥، ٧ /www.wdl.org/ar/item/4095/view/1/4/

الشريف، ريم (٢٠٢٠). حجاج الصورة الساخرة في الخطاب السياسي، مجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، غزة، مجلد٦، عدد ١.

الشكعة، مصطفى (١٩٨٧). المغرب والأندلس آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية، دار الكتب الإسلامية، القاهرة وبيروت.

الصفدي، خليل بن آيبك (١٩٦٩). تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا.

الصلح، منح (١٩٥٢). السخرية في النثر العربي من الجاهلية حتى القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، جامعة بيروت العربية، نيسان.

ضيف، شوقي (١٩٨٩). عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة.

ضيف، شوقي (٢٠٠٤). الفكاهة في مصر، دار المعارف، ط٣.

عبد النبي، ذاكر (٢٠٠٠). العين الساخرة أقنعتها وقناعاتها في الرحلة العربية، المركز المغربي للتوثيق والبحث في أدب الرحلة.

عبد الواحد، جاسم، والأسدي، مسلم مالك، والشكر، محمد ياسين (٢٠١١). رسالة التربيع والتدوير للجاحظ دراسة في الصيغة والأفكار، مجلة مركز دراسات الكوفة، عدد٢٢.

عطية، فاطمة الزهراء (٢٠٠٣). الرسالة الهزلية وسؤال السخرية، مجلة الفضاء المغاربي، مجلد ٢، عدد ٤، جامعة تلمسان، الجزائر.

العفيف، فاطمة حسين عيسى (٢٠١٦). الجانب النفسي للسخرية في الشعر العربي المعاصر، محمد الماغوط، ومحمود درويش وأحمد مطر نماذج، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مجلد٤٣، عدد ٣.

العلي، فريال عبدالرحمن (٢٠١٥). تقاطعات البنى السردية في الرسالة الهزلية لابن زيدون، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين، عدد ٢٦.

علي، محمد كرد (١٣٧٦هـ). أمراء البيان، ج٢، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

العمري، آسيا (٢٠١٣). البعد البلاغي والحجاجي للسخرية من منظور التداولية، أخبار الحمقى والمغفلين أنموذجا، ٢٠١٣/٧/١١م، مقال إلكتروني www. takhatub.ahlamontada.com/t9298-topic

عيسى، فوزي (٢٠٠٧). الهجاء في الأدب الأندلسي، دار الوفاء، الإسكندرية.

غومس، إميليو غرسية (١٩٥٢). الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.

فاعور، ياسين (١٩٩٣). السخرية في أدب إميل حبيبي، دار المعارف للطباعة والنشر.

الفحام، عبد الجواد شعبان (١٩٩٨). الخطاب النثري في رسائل ابن زيدون الفنية، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مصر، عدد ٣، مجلد٣.

فرهنكنيا، امير، وبورحمدانيان، علي (١٩٧٩). ملامح السخرية في رواية المتشائل لإميل حبيبي، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، السنة ٢٢، عدد٢، ١٤٤٠هـ

لعرباوي، نورية (٢٠١٧-٢٠١٨). آليات الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل والسياسية للأمير عبد القادر نموذجا، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر.

مخلوف، ربيع (٢٠٠٨-٢٠٠٩). الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لابن زيدون، مذكرة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، الجزائر.

مشبال، محمد (١٩٩٤). سمة التضمين التهكمي في رسالة التربيع والتدوير اقتراح منهجي، مجلة فصول، عدد٣.

مشبال، محمد (٢٠١١). التصوير والحجاج، نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ، عالم الفكر، عدد٢، مجلد ٤.

مصطفى، محمد فوزي (١٩٨١). ثلاث رسائل في الهجاء، دار القلم، الكويت.

هداب، سناء ساجت (٢٠٠٩). بنى التشكيل الجمالي في رسائل ابن زيدون، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=36799

الهوال، حامد عبده (١٩٨٢). السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية للكتاب.

الياسين، إبراهيم منصور محمد، والخلفات، خالد سليمان (٢٠١٣). صور المفارقة في الرسالة الهزلية لابن زيدون، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، الأردن، مجلد ٩، عدد٢.

References

Abdul Nabi, Zakir (2000). *The sarcastic eye, its masks and convictions in the Arab journey*, Moroccan Center for Documentation and Research in Travel Literature.

Abdul-Wahed, Jassem, and Al-Asadi, Muslim Malik, and Al-Shukr, Muhammad Yassin (2011). The Square and Roundness Letter to Al-Jahiz, A Study in Formula and Ideas, *Journal of the Kufa Studies Center*, No. 22.

Abu Murad, Fathi Madshar Rafeeq (2018). *Interrogative style and its impact on the constructive and semantic structure in Al-Jahiz's Square and Rotation Letter*, Annals of Arts and Social Sciences, Kuwait University - Scientific Publication Council, Yearbook 39, Letter 505.

Al-Afif, Fatima Hussein Issa (2016). The psychological aspect of irony in contemporary Arabic poetry, Muhammad Al-Maghout, Mahmoud Darwish and Ahmad Matar, Models, Studies, *Humanities and Social Sciences*, University of Jordan, Volume 43, No. 3.

Al-Ali, Feryal Abdel-Rahman (2015). Intersections of narrative structures in the comic message of Ibn Zaydoun, *Journal of Human Sciences*, University of Bahrain, No. 26.

Al-Baqlani, Abu Bakr Muhammad bin Al-Khatib (1997). *The Miracle of the Qur'an*, investigative by: Mr. Ahmed Saqr, Cairo, Dar Al-Maaref, 5.

Al-Droubi, Samia (2009). Al-Hijaj Al-Jamil in the Message of the Followers and Cyclones by Ibn Shahid, *Andalusian Studies*, Tunis, No. 42.

Al-Fahham, Abdel-Gawad Shaaban (1998). The prose discourse in Ibn Zaydun's technical letters, *Journal of Arab Studies*, Faculty of Dar Al Uloom, Minya University, Egypt, No. 3, Volume 3.

Al-Hawwal, Hamed Abdo (1982). *Irony in Al-Mazini Literature*, The Egyptian Book Authority.

Ali, Muhammad Kurd (1956). *Princes of Al-Bayan*, Volume 2, Cairo, Committee of Authoring, Translation and Publishing.

Al-Jahiz, Amr bin Bahr (1955). *Book of Square and Recirculation*, investigation: Charles Platt, Damascus.

Al-Jahiz, Amr bin Bahr (2007). *Misers*, investigation: Taha Al-Hajri, Dar Al-Maaref, 5th edition.

Al-Omari, Asia (2013). *The rhetorical and argumentative dimension of satire from the perspective of deliberation*, news of fools and fools as a model, 11/7/2013 AD, electronic article takhatub.ahlamontada.com/t9298-topic www.

Al-Safadi, Khalil bin Aybak (1969). *Tamam al-Muton in Explanation of Ibn Zaydoun's Message*, investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Al-Mataba al-Asriyya, Beirut, Sidon.

Al-Shakah, Mustafa (1987). *Morocco and Andalusia: Islamic Perspectives*, Human Civilization and Literary Investigations, Dar al-Kutub al-Islamiyya, Cairo and Beirut.

Al-Sharif, Reem (2020). Pilgrims of the satirical image in political discourse, Al-Arabiya *Journal for Science and Research Publishing*, Gaza, Volume 6, Number 1.

Al-Sulh, Manh (1952). *Irony in Arabic Prose from Ignorance to the Fourth Century A.H.*, Master's Thesis, Beirut Arab University, April.

Al-Yassin, Ibrahim Mansour Muhammad, and Al-Khalafat, Khaled Suleiman (2013). Pictures of Paradox in the Comic Message of Ibn Zaydoun, *The*

Jordanian Journal of Arabic Language and Literature, Jordan, Volume 9, Number 2.

Attia, Fatima Al-Zahra (2003). The comic message and the question of irony, *Maghreb Space Magazine*, Volume 2, Number 4, University of Tlemcen, Algeria.

Barbah, Souad (2020). Hajjajiyah receives satirical praise in The Message of Squareness and Rotation, *Journal of Cultural Linguistic and Artistic Studies*, No. 6, Volume 4, Democratic Center, Berlin, Germany.

Dayf, Shawqi (1989). *The era of states and emirates Andalusia*, Dar Al Maaref, Cairo.

Dayf, Shawqi (2004). *Humor in Egypt*, Dar Al Maaref, 3rd Edition.

Explanation of the message of the Minister Abi Al-Walid bin Zaidoon, manuscript, paper 6 and 5, [online] Available at: www.wdl.org/ar/item/4095/view/1/4/ [Accessed 03 Feb. 2022].

Faour, Yassin (1993). *Irony in the literature of Emile Habibi*, Dar Al-Maarif for printing and publishing.

Farahnkinia, Amir, and Borhamdanian, Ali (2018). Features of irony in the novel of the Pessimist by Emile Habibi, Horizons of Islamic Civilization, *Academy of Humanities and Cultural Studies*, Year 22, No. 2.

Gomes, Emilio Garcia (1952). *Andalusian poetry, a study of its development and characteristics*, translated by: Hussein Mu'nis, The Egyptian Renaissance Library, Cairo.

Hadab, Sana Sajt (2009). *The Structured Aesthetic Formation in Ibn Zaydun's Letters*, Al-Mustansiriya University, College of Arts, Department of Arabic Language, [online] Available at: www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=36799 [Accessed 03 Feb. 2022].

Hussein, Abdel Halim Mohamed (1988). *Irony in the literature of Al-Jahiz*, Jamahiriya Publishing House, Tripoli, Libya.

Hussein, Taha (1969). *from the hadith of poetry and prose*, Cairo, Dar Al Maaref, 10th edition.

Ibn Dahia, Abu Al-Khattab Omar bin Hassan (1954). *The singer from the poems of the people of Morocco*, achieved by: Ibrahim Al-Abyari, Hamed Abdel-Majid, and Ahmed Badawy, Al-Amiri Press, Cairo.

Ibn Khaqan, Al-Fath bin Muhammad bin Obaid Allah Al-Qaisi Al-Ishbili, d. 529 AH (1989). *Qa`ilad Al-Aqyan and the Goodness of Notables*, Volume 1-2, investigation: Hussein Yusef Khreish, Al-Manar Library, Zarqa, Jordan.

Ibn Nabata, Jamal al-Din (n.d). *Sarh al-Ayun in explaining the message of Ibn Zaydun*, achieved by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Fikr.

Ibn Zaidoon (1957). *Ibn Zaydun's Diwan and his Letters*, investigation: Ali Abdel-Azim, Nahdet Misr, Cairo.

Issa, Fawzi (2007). *Satire in Andalusian Literature*, Dar Al-Wafa, Alexandria.

Makhlouf, Rabie (2008-2009). *Textual harmony in the comic message of Ibn Zaydoun*, Master's thesis, University of Colonel Hajj Lakhdar Batna, Faculty of Arts, Department of Arabic Language, Algeria.

Mishbal, Muhammad (1994). The characteristic of ironic inclusion in the message of squareness and rotation is a methodological proposal, *Fosoul Magazine*, No. 3.

Mishbal, Muhammad (2011). Photography and Pilgrims, Towards a Historical Understanding of the Rhetoric of Al-Jahiz's Prose, *World of Thought*, No. 2, Volume 4.

Mustafa, Muhammad Fawzi (1981). *Three Letters in Satire*, Dar Al-Qalam, Kuwait.

Nouriyah, Larbaoui (2017-2018), *The mechanisms of Hajjaj in the political discourse and the political messages of Emir Abdelkader as a model*, PhD thesis, Oran University, Algeria,.

Sarhan, Muhammad (1974). *The Art of Irony in the Literature of Al-Jahiz*, Ph.D. Thesis, Al-Azhar University, Faculty of Arabic Language.

Schroeder, Patrick, and Menegno, Dominic (2008). *Lexicon of discourse analysis*, translated by: Abdul Qadir Al Muhairi, and Hammadi Samoud, Dar Sinatra, Tunisia.

Shawi, Asmaa (2021). The Rhetoric of Ibn Zaydun's Prose Speech, The Comic Letter as a Model, *Journal of Prince Abdel Qader Islamic University*, Constantine, Algeria, Volume 35, Number 2.

Zayed, Laila (2014-2015). *Irony in the Art of Folk Biography*, Selected Models, Algeria, University of Martyr Lakhdar - El Wadi, Department of Arabic Language and Literature, Master's Thesis.

HOW TO CITE THIS ARTICLE

Shtiat, Fuad Feyyad et al. (2022). Sarcastic Reasoning in Al-Jahiz's Message of Tarbee and Tadweer and Ibn Zaidoon's Sarcastic Message: The Controversy of Persuasion and Refrain. *Language Art*, 7(3):7-30, Shiraz, Iran. [in Arabic]

DOI: 10.22046/LA.2022.13

URL: https://www.languageart.ir/index.php/LA/article/view/302

Language Art, 7(3): pp. 7-30, 2022, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2022.13 DOR:
فصلنامه هنر زبان، دوره ۷، شماره ۳، سال ۲۰۲۲، از صفحه ۷ تا ۳۰

جدال مسخره‌گونه در رساله "تربیع" و "تدویر" از جاحظ و "الرسالة الهزلية" از ابن زیدون، مجادله خرسند کننده و بهره‌مند سازنده!

دکتر فواد فیاض شتیات[1]

استاد گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده هنر، دانشگاه اسراء، امان، اردن.

دکتر فاروق احمد الهزایمه[2]

دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده هنر، دانشگاه اسراء، امان، اردن.

دکتر باسل فیصل سعد الزعبی[3]©

دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشکده هنر، دانشگاه اسراء، امان، اردن.

(تاریخ دریافت: ۱۱ اردیبهشت ۱۴۰۱؛ تاریخ پذیرش: ۱۵ مرداد ۱۴۰۰؛ تاریخ انتشار: ۱۰ شهریور ۱۴۰۰)

این پژوهش موضوع جدال مسخره‌گونه در رساله "تربیع و تدویر" از جاحظ و "الرسالة الهزلية" از ابن زیدون و رابطه آن جدال و خطاب سیاسی آن را مورد بررسی قرار می‌دهد. هدفش کشف نقش استهزا در خرسند ساختن مخاطب است، با آنچه آن دو نویسنده طرح کرده‌اند با رویکرد جایگاهی که رقابت بین نوآور و شخصیت محوری در دو خطاب دارند و رابطه آن با نقش سیاسی که همه آنها دارند مورد بررسی قرار می‌گیرد. این پژوهش ابزارهای بلاغی استهزا را که در خلال دو متن و ظرف‌های زبانی که آن دو متن دارند را تحلیل می‌کند. روش پژوهش وصفی - تحلیلی و نقدی است، از خلال اسلوب جدال مسخره‌گر در دو نامه به عنوان ابزاری برای خرسند ساختن مخاطب با اندیشه‌ای که در دو رساله وجود دارد، در تلاشی برای تحقیر و کوچک کردن شخصیت با سبکی غیرمستقیم است. از جمله نتایجی که از این پژوهش حاصل گشته است این است که: آن دو متن خشت نخستین و اساسی هستند که در اساس ادب عربی هزل گونه وجود دارد. این اساس همان است که در روایتگری قدیم عربی از خلال جنس رساله و اجناس ادبی مختلف دیگر مانند مقامه و حکایت و داستان‌های مردمی است. رساله "تربیع و تدویر" محورشان پیرامون به زانو درآوردن احمد بن عبد الوهاب نویسنده گمنام و به سر دواندن اوست و ظاهر ساختن زشتی اعضای بدن او و نادانی در فرهنگ زمان است. اما "الرسالة الهزلية" گام‌های جاحظ را در بنای متنش استوار ساخته است و شخصیت آن نویسنده معروف اندلسی است و ابزارهای آن استهزا و مسخره کردن آن شخصیت و زشت دانستن آن و سلب صفت فرهنگ از اوست و ترسیم او به این گونه که او یک مدعی ناآگاه به آنچه پیرامونش است می‌باشد.

واژه‌های کلیدی: مسخره کردن، جدال، رسائل ادبیة، جاحظ، ابن زیدون.

[1] E-mail: fuad.shtiat@iu.edu.jo
[2] E-mail: faroq.alhazimah@iu.edu.jo
[3] E-mail: basil.al-zubi@iu.edu.jo ©(نویسنده مسؤول)

Language Art, 7(3): pp. 7-30, 2022, Shiraz, Iran
DOI: 10.22046/LA.2022.13 DOR:
Article No.: 73.13.14015.730

ORIGINAL RESEARCH PAPER

Sarcastic Reasoning in Al-Jahiz's Message of Tarbee and Tadweer and Ibn Zaidoon's Sarcastic Message: The Controversy of Persuasion and Refrain

Dr. Fuad Feyyad Shtiat [1]

Professor in Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Isra University, Amman, Jordan.

Dr. Farouk Ahmad Turkey Al-Hazaimeh [2]

Associate Professor in Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Isra University, Amman, Jordan.

Dr. Basil Faisal Sa'ed AL-Zu'bi[3]**©**

Associate Professor in Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Isra University, Amman, Jordan.

(Received: 1 May 2022; Accepted: 06 August 2022; Published: 1 September 2022)

The research deals with the subject of mock controversy in the letters of (al-Tarbiya & Tadwir) by Al-Jahiz and the comic message of Ibn Zaydun, and the relationship between that controversy and its political address, so discusses the role of irony in persuading the recipient of what the two writers propose based on the place governed by competition between the creator and the central figure in the two discourses and its relationship to the political role of all of them, and the research analyzes. One of the results obtained from this research is that: those two texts are the first and basic texts that exist in the basis of humorous Arabic literature. This basis is the same as in ancient Arabic narration through treatises and various other literary items such as maqamah, anecdotes, and folk stories.The tools of rhetorical irony that outlive the two texts and the receptacles of the language in which they are covered.

***Keywords*:** Irony, Arguing, Literary Messages, Al-Jahiz, Ibn Zaidoon.

[1] E-mail: fuad.shtiat@iu.edu.jo
[2] E-mail: faroq.alhazimah@iu.edu.jo
[3] E-mail: basil.al-zubi@iu.edu.jo © (Corresponding Author)